الموت وأثره الحضاري في المشرق الإسلامي من القرن (4: 7هـ /13:10م)

ميرفت رضا أحمد محمد

الملخص

يتناول هذا البحث الموت وأثره الحضاري في المشرق الاسلامي من القرن (4: 7هـ) وقد قُسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث فألقى المبحث الأول الضوء على حالات الموت. فقد خُلق الإنسان مقدرا له الموت بعد حياة محددة عند الله سبحانه وتعالى، ومن ثم فليس للموت أسباب، لكن تعددت حالاته ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية وصحية وغيرها.

كما تطرق المبحث إلى الوصية وكيف انها تختلف باختلاف المواقف والظروف، ومنها وصية سياسية بالحكم ، ووصية برعاية الأولاد، ووصية بالأموال والممتلكات، ووصية بالعلم ووقف الكتب، ووصية بالغسل والدفن .

وتناول المبحث الثاني ما يحدث بعد الموت من مراسيم، فمراسيم الموت كثيرة، وتختلف من مجتمع لآخر، ومن طبقة لأخرى، غير أنها طفيفة جدا، بينما تناول المبحث الثالث أثر الموت على المجتمع سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا)،ثم جاءت الخاتمة تبرز ما توصل إليه البحث من نتائج.

فجميع المعطيات التي تم التوصّل إليها، تقود بطبيعة الحال، إلى جملة مسائل أخلاقية واجتماعية، وهي أن الحفاظ على النفس الإنسانية يعد من أولى المقاصد الشرعية التي اهتمت بها الشرعية الإسلامية، وأولتها عنايتها الفائقة حتى أنها أوجبت الخلود في النار لقاتل النفس الإنسانية، كما تدل على قوله سبحانه وتعالى:]من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما[، وذلك لأن الإضرار بالغير دون مبرر مقبول يرتضيه الشرع، ويقبلـه العقل السليم يعتبره المشرع الإسلامي والوضعي ـ على السواء ـ تجنيًا وتجاوزًا على حق الغير، ومن هنا اعتُبر أن للحق صفة اجتماعية وليست فردية، فحسب تراعى فيه مصلحة الأفراد والجماعات بما يضمن تسيير الحياة.

وفي الختام عش ما شئت فإنك ميِّت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌ به، الموت يأتي فجأة والقبر صندوق العمل، ولا نكتفي أن نؤمن بالموت، بل أن نستعد له بالتوبة النصوح، والعمل الصالح، والبذل والتضحية، والإقبال على الطاعات.

Death and its Cultural Impact in the Islamic East of the Century (4: 7 -10: 13)

Mervat Rada Ahmed Mohamed

Abstract

This paper deals with death and its impact of Islamic civilization in the East of the century (4: 7 e) This research has been into three sections and delivered the first section of light on the deaths. The creation of man destined to die after a certain life when God Almighty, then it is not for the causes of death, but there were many cases is between political, economic and social, health and others.

Section also discussed the commandment and how they vary according to situations and circumstances, including the commandment of political governance, and commandment sponsored boys, and the commandment of money and property, and the commandment to science and stop books, and commandment panning and burial.

And eating the second topic what happens after the death of decrees, Vmrasim death are many, and vary from one society to another, and layer to another, but it is very slight, while eating the third research impact of death on the community politically, economically, socially, culturally), and then came the conclusion highlights what reached search results.

All data that have been reached, leads naturally to the inter ethical issues and social, is that self-preservation humanity is one of the first destinations legitimacy, which focused on the Islamic legitimacy, and accorded attention high until it necessitated immortality in the fire of the murderer of the human soul, as evidenced by saying the Almighty: "Whoever kills a believer intentionally, his recompense is Hell to abide therein, and the wrath of God upon him, and prepared for him a great punishment, because injury to others without acceptable justification acceptable Shara, and acceptable sound mind considers legislator Islamic and postural both Tgnaa and encroachment on the right of others, and here considered that the right social status, not an individual, only take into account the interests of individuals and groups to ensure the conduct of life

In conclusion nest what you want for you is dead, and love what you want for you departest, and do what you want for you rewarding him, death comes suddenly and the grave Labour Fund, and not just to believe

in death, but to prepare his sincere repentance, and good work, and giving and sacrifice, and the demand for good deeds.

مقدمة:

[وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ][1]

يعد الموت[2] مرحلة الحياة الثالثة من مراحل أربع لابد أن يتنقل فيها الإنسان من واحدة إلى أخرى، أما المرحلة الأولى فهي حياة الأجنة، تليها هذه المرحلة التي نعيشها اليوم في غمار دنيانا هذه، أما المرحلة الثالثة فهي الحياة البرزخية التي سننتقل إليها من خلال بوابة الموت، أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي التي تكون في دار القرار يوم تقوم الساعة. وكل مرحلة من هذه المراحل أوسع مجالاً وأقوى حقيقة من المرحلة التي قبلها. إذاً الموت انتقال من عالم لآخر، وبالأحرى فهو جسر بين حياتين: حياة الدنيا الفانية، وحياة الآخرة الباقية وليس فناء، وإنما هو مفارقة الروح للبدن. كما يعد الموت بالنسبة إلى المؤمن ولادة جديدة. يقول تعالى: [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ][3].

ومهما تنوعت مفاهيم الموت لدي الشعوب، ففي النهاية يبقي المعنى واحدا، إنه نهاية كل حي في هذا الوجود يكون مظهره خمود الشعور، وتلاشى الإدراك. ولكن ما بعد الموت هو السؤال الذي تنوعت النظرة إليه بين الشعوب قديماً وحاضرا، لأن باطن الموت ارتبط بمعتقدات فكرية لا تستند علي دليل ملموس، يبين حقيقة الموت وحال الجسد بعد مفارقة الروح والانفصال عن الدنيا، فتبني كل شعب فكرته الخاصة، التي من خلالها يتم التعامل مع جسد الميت بطقوس تعبر عن هذه الفكرة ، ولا سيما أن الموت من عالم الغيبيات بدليل قوله تعالى [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً][4]

وليس للموت أي أسباب ! لأن السبب الوحيد هو " انتهاء الأجل" أما ما يقال أنه هنالك أسباب فذلك مخالفة للصواب، لأن هذه تسمى حالات وليست أسباب. فهنالك فرق بين السبب والحالة. تعددت الاسباب والموت واحد قال تعالى: [قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ][5]. يعنى كله بيد الله وحسب الأجل المقدر للإنسان. ورحم الله الامام الشافعي حيث قال:

نزول عن الدنيا فأنك لا تدر إذا جن ليل هل تعش إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

ولا شك أن الموت بحد ذاته ليس مصيبة للميْت، ولكنه مصيبة للأحياء الذين يفارقون قريبهم أو حميمهم أو صديقهم أو حبيبهم. الموت مصيبة للأحياء الذين ودَّعوا الميْتَ الذي رحل قبلهم إلى الله عز وجل. أما بالنسبة للميْت فهو الذي ينسج للموت حقيقته، ومعناه في الحياة التي يعيشها في هذه الدنيا، إن شاء جعل من الموت الذي هو على ميعاد معه عرساً ، وإن شاء جعل من الموت الذي هو على موعد معه

شقاءً.

يتناول هذا البحث الموت وأثره الحضاري في المشرق الاسلامي من القرن (4: 7هـ/10:13 م) وقد قُسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث (فألقى المبحث الأول الضوء على حالات الموت(سياسية، اقتصادية، اجتماعية، صحية. وتطرق إلى الوصية (وصية سياسية ، وصية برعاية الأولاد، وصية بالأموال والممتلكات، وصية بالعلم ووقف الكتب، وصية بالغسل والدفن) ، وتناول المبحث الثاني ما يحدث بعد الموت من **مراسيم، فـمراسيم الموت** كثيرة، وتختلف من مجتمع لآخر، ومن طبقة لأخرى؛ غير أنها طفيفة جدا، بينما تناول المبحث الثالث أثر الموت على المجتمع سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا)،ثم جاءت الخاتمة تبرز ما توصل إليه البحث من نتائج .

المبحث الاول: حالات الموت

- **حالات سياسية**

قد برزت في عالم السياسة في المشرق الإسلامي خلال فترة البحث شريحة ارتبط نشاطها بصناعة المؤامرات، وإثارة الشكوك، وترتيب الأزمات؛ **لتحقق أهداف ومصالح شخصية، وترتب على ذلك أن** سرى الموت في شرايين أجهزة الدولة بأكملها، **ومن ذلك على سبيل المثال، عندما** تولى السلطان مسعود الغزنوي الحكم، بدأ الزوزني في تدبير مؤامرة للتخلص من حسنك ـ وزير السلطان محمود ـ فلجأ إلى القول بأنه قرمطي وأن الخليفة طلب رجمه، وأنه قطع صلته بالسلطان محمود من أجله، وتأثر مسعود بهذه الدسيسة، وأرتضى سياسة الزوزني قبل حسنك، وبعث لحسنك يذكره بقوله" حين تصبح سلطانا أصلبني " وبذل الوزير وبذل رئيس ديوان الرسائل كل ما في وسعهما لإثناء الزوزني عن قتل حسنك ولكن دون جدوى.

وأجتمع الناس حول المشنقة ـ مما يلي مصلى بلخ بساحة شارستان ـ التي أعدت ليشد إليها ، وكان القراء يقرؤن القرآن، وأمروا حسنك بخلع ملابسه، فمد يده وأحكم رباط إزاره وعقد أسفل سراويله، ثم خلع جبته وقميصه وطرحهما مع عمامته وبقى عريانا بالإزار، واضعا إحدى يديه على الأخرى. وبدأ جسمه أبيض كاللجين، فأنفجر الناس باكين من أجله بكاء مرا ،ثم غطوا رأسه ووجهه بالخوذة الواسعة، وطلب الزوزني من الناس أن يرجموه، ولكنهم صاحوا باكين ساخطين، ولم تجرؤ يد على الإمساك بحجر لتلقى به في وجه حسنك، كما أبى الجندي المكلف بالوقوف عليه أن يقتل الوزير رجما بالحجارة من السوقة، فقتله شنقا. وعلى نحيب الناس وصياحهم واشتد سخطهم[6]. وكان لهذه المؤامرة أثرها الكبير في نفوس الناس وسخطهم واستيائهم من العهد المسعودي.

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن المؤامرات أن نشير إلى الجواري وقيامهن

بدور القاتلات للحصول على العديد من المكاسب، فقد قامت زوجة الوزير عز الملك البروجردى - وهى إحدى جواري السلطان مسعود- بخنق زوجها، بعد ما عذبته وعلقته في سقف الحجرة، وذلك بموافقة السلطان مسعود بعد عزل الوزير من السلطة لكبر سنه[7].

وجهزت عجوز كرديزية سما واستخرجت منه ماء، وألقت في الماء شيئا ثم سقته الأمير سعيد بن السلطان مسعود الغزنوي في منتصف ربيع الأول سنة 430هـ/1038م فشربه وشلت منه سبعة أعضاء، وغشي عليه أحد عشر يوما ثم مات، وكان ذلك انتقاما من السلطان، وقد جزع السلطان لوفاته جزعا شديدا[8].

وفى العصر السلجوقي أصدر ألب أرسلان بعد توليه السلطنة أمرا بالقبض على الوزير الكندري سنة 456هـ/1063م واعتقاله، بتحريض من نظام الملك، وبقى في الأسر سنة، وكان محبوسا في دار عميد خراسان، ثم نقل إلى مرو الروز، وحبس في دار فيها حجرة ضيقة[9].

وقد قال وهو في محبسه موضحا أسباب تلك المؤامرات التي كانت تحاك للتخلص منه:

الموت مر ولكنى إذا ظمئت نفسى إلى العز مستحل لمشربه
وزارة باض في رأس وساوسها تدور فيه وأخشى أن تدور به

وقال أيضا:

إن كان بالناس ضيق من منافستي فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المقبور يتبعني كل لكأس المنايا شارب حاسى[10].

وما لبث ان أمر السلطان ألب أرسلان بقتله سنة 457هـ/1064م وعندما علم الكندري بخبر موته، أذعن لقضاء الله، فدخل الحجرة، وأخرج كفنه، وودع ابنته الوحيدة، وأغلق باب الحجرة، واغتسل وصلى ركعتين، وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار، وقال له: حقي عليك أن تكفني في هذا الثوب الذي غسلته من ماء زمزم، وذلك يوم الأحد السادس عشر من ذى الحجة سنة 457هـ/1064م[11].ودخل عليه الغلامان، وضرباه بالسيف، وأخذا رأسه وحملاه إلى السلطان بكرمان، وأما جثته فقد لفت في خرقة ودفن في قبر أبيه بكندر، عن عمر يناهز الأربعين عاما[12] ومن المشهور والعجيب عنه، أنهم خصوه في صباه في خوارزم حيث دفنوا ذكره بها، ثم قتلوه في مرو الروز، فأخذوا جسده إلى موطنه كندر فدفنوه بها، وأخذوا رأسه ماعدا قحف جمجمته إلى نيسابور فدفنت بها، ونقل قحف جمجمته إلى كرمان حيث يوجد نظام الملك والسلطان[13].

وقد قُتل السلطان ألب أرسلان شر قتله سنة 465هـ/1072م على يد أحد الثائرين، وذلك عندما سار إلى بلاد ما وراء النهر وعبر نهر جيحون، يريد محاربة الخارجين عليه، أثر فتنة ظهرت في بلاد ما وراء النهر حيث أصهاره الخانيون، فقد ساءت العلاقات بينه وبينهم بعد وفاة طمغاج خان[14]. والد زوجة ابنه ملكشاه، فحاول

ابنه شمس الدين نصر أن يستقل عن السلاجقة، مما اضطر السلطان إلى التوجه إليه، واستطاع فعلا حصار الكثير من القلاع وفتحها[15]. وهاجم ألب أرسلان إحدى القلاع المتمردة وهى قلعة خوارزم، واستولى عليها وقبض على قائدها المسمى يوسف الخوارزمى أو يوسف البرزمى، كما كانت تسمى القلعة ، وجلبوا هذا الأسير إليه وأوثقه بالحبال، وأمر السلطان أن تضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه إليها، فقال له يوسف يا مخنث هكذا تقتل الرجال، فاحتد السلطان وأخذ القوس والنشاب وقال للموكلين به خلياه ورماه، فأخطأه ولم يخطئ له سهم غيرها فعدا يوسف إليه، وكان السلطان على سدة فنهض ونزل، فعثر ووقع على وجهه[16] فهجم عليه الأسير فضربه في خاصرته[17]بسكين كان يخفيها في ملابسه، ولم يستطع أحد من الحراس التدخل بسرعة لضرب الأسير[18] وبعدها بأربعة أيام مات السلطان ألب ارسلان[19] ودفن بجوار أبيه، وعمه طغرلبك بعد أن حكم تسعة أعوام ونصف تقريبا[20].

وفى أثناء الصراع بين نظام الملك، وتاج الملك، لقى نظام الملك مصرعه مقتولا على يد أحد فدائي الإسماعيلية سنة 485هـ/1092م، وهو أبى طاهر الأوابي بتحريض من تاج الملك أبى الغنائم، وكان متخفيا في زي الصوفية، وقدم للنظام ورقة ظنها مظلمة، فانشغل بقراءتها، وطعنه أبو طاهر بالخنجر في قلبه، فسقط الوزير مغشيا عليه، وحمل إلى خيمته فمات، وهرب القاتل فأدركه رجال الوزير وقتلوه[21]. وهكذا ذاق نظام الملك نفس الكأس التي أذاقها لسلفه عميد الملك الكندري، وسوف يشرب منها تاج الملك. وقد نقل جثمان نظام الملك إلى أصفهان، ودفن في مكان يليق به[22].

وبعد مصرع نظام الملك بحوالي خمسة وثلاثين يوما، مات السلطان ملكشاه[23] وكانت وفاة ملكشاه في ظروف غامضة، قد أدت إلى نشر الشائعات حول موته. فيمثل ابن الأثير الطائفة التي تقول بقتله، أثناء رحلة صيد له، فأكل لحم صيد فحم وافتصد، ولكن لم يخرج الدم منه، ولكن المؤرخين قريبي العهد منه يرجعون موته إلى دس السم له، فيقال إنهم أعطوه سما بيد احدى الجواري[24]. ولا يُستبعد ذلك حيث جرت العادة بين الجواري آنذاك على لعب دور القاتلات، وكان يُعتمد عليهن في القضاء على السلاطين وقتلهم، وكانت تُشترى جاريات خصيصا لهذا الدور. وقد قام الوزير عون الدين ابن هبيرة بإرسال أغلبك الكوهراييني إلى بلاد العجم لشراء جارية من قاض همذان ـ لها مواصفات معينة ـ بمبلغ ألف دينار، بغرض إهدائها إلى السلطان ملكشاه بن محمود بن محمد؛ لتقوم بدس السم له في الطعام، ووُعدت هذه الجارية بالهدايا والأموال الكثيرة، وبالفعل نفذت الجارية الخُطة، ودست السم في لحم مشوي، ولم يكتشف أمرها إلا عن طريق طبيب القصر، الذي أقر بقتل السلطان عن طريق السم ـ فقُبض على الجارية واعترفت بكل شيء، وذلك سنة 555هـ/1160م[25] .

ومن نفس الكأس الذي أذاقه نظام الملك للكندري وزير طغرلبك، والتي أذاقها

إياه ، تجرع تاج الملك الكأس، فقد شغل تاج الملك منصب الوزارة لتركان خاتون زوجة ملكشاه، ونادى بابن مخدومته "محمود" سلطانا على السلاجقة وكان عمره أربع سنوات. وأخفى تاج الملك وتركان خاتون نبأ وفاة السلطان، وأرسلا شخصا للقبض على ولى العهد بركياروق وقاما بحبسه[26]. وثار النظامية وخلصوه من سجنه، والتقوا مع تركان خاتون وتاج الملك وانتصر بركياروق، وقبضوا على تاج الملك؛ لتيقنهم بأنه وراء قتل النظام، وانتهى الأمر بهجومهم عليه ومزقوا جسده إربا، ووزعوا أجزاء منه على ولايات السلاجقة التي يحكمها أبناء نظام الملك ،حتى حمل إلى بغداد أحد أصابعه، وذلك سنة 487هـ/1094م[27].

وقد دبرت السيدة قتيبة خاتون - ابنة الأتابك اينانج صاحب الري أمر قتل زوجها قزل أرسلان بمعاونة أربعة من اتباعها، فدخلوا عليه وهو نائم على فراشه وقطعوه إربا، وذلك بسبب رفع شأن ابنه من زوجة أخرى، ولكي تُبعد قتيبة خاتون عن نفسها تهمة القتل، فقد نادت بين حاشية القصر بأن فدائي الباطنية هم الذين قتلوه، وذلك سنة587هـ/1191م، مستغلين جو الفتن الذى كان سائدا في الدولة[28].

وحاولت هذه السيدة أن تكرر فعلتها مرة أخرى مع زوجها التالي طغرل بن أرسلان، الذي تزوجها لجمالها، ورغبتها في التسلط على عرشه وتقوية نفوذها في دولته، ولكنها فشلت في ذلك، فاتفقت مع ابنها - قتلوغ اينانج - على دس السم له، فأدرك هذا الأمر، فجرعها نفس الشراب، وامر بدس السم لها في الطعام، وقضى عليها بعد أن تزوجها بفترة وجيزة في نفس العام الذى تم فيه الزواج، قبل أن تنجح هى في قتله والتخلص منه [29].

ثم قبض السلطان طغرل على قتلوغ اينانج، وأمر بحبسه ، ولم يفرج عنه إلا تلبية لشفاعة عظماء الدولة، وقد دبرت ابنة السلطان طغرل مكيدة، لكي تنتقم من هذا الشخص، فُذُبح ذبح الشاه، وقُطعت أجزاءا من جسده، وذلك انتقاما لوالدها، وقد استمرت جثته ملقاه في الطريق، حتى قام فخر الدين خسروشاه رئيس همذان، بدفن بقاياه في مدينة همذان سنة 592هـ/1195م[30].

وفى الحرب التي قامت بين السلطان سنجر وأتسز سنة 533هـ/1138م انتصر سنجر انتصارا مبينا، وصرع من جند أتسز نحو عشرة آلاف، وسقط ابن أتسز أسيرا بيد سنجر فقُطعت عنقه بأمر منه[31] ومن ثم لم يصف أتسز لسنجر في أي وقت، وبعد فترة أرسل بشخصين سرا لقتل سنجر، فأرسل مبعوث السلطان في خوارزم وهو " الشاعر أديب شهاب الدين صابر" بالمؤامرة إلى سنجر؛ فقبض سنجر على الرجلين وقتلهما، ولما علم أتسز بذلك أمر رجاله ان يقيدوا الأديب صابر، فربطوا يديه وقدميه بالسلاسل والقيود، ثم أغرقوه في نهر جيحون[32].

وقضى السلطان تكش الخوارزمي على طغرل الثالث آخر السلاطين السلاجقة في العراق فسار إلى الري على رأس جيش كبير، واشتبك مع السلطان طغرل في معركة عنيفة بالقرب من الري، أسفرت عن هزيمة طغرل، وسقوطه عن

جواده وقتله، وقد نقلت جثته، وأحضرت أمام السلطان تكش. فلما رأى عدوه بهذا الوضع، ترجل عن جواده، وسجد لله شكرا، ثم أرسل رأسه إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله. وكان ذلك في سنة590هـ/1193م[33].

وتبقى كثير من الحروب التي أُودت بحياة الألاف، لكن اغفلنا عن ذكرها خشية الاطالة والاسفاف، وما ذكرناه قد يفي بما اردنا تأكيده في هذا السياق .

هكذا نجد أن الحكام خلال فترة البحث قد تمتعوا بالامتيازات الهائلة، وذلك لأن هؤلاء يعتبروا الحكم كامتياز خاص لهم، لا على أساس كون الحكم هو خدمة للناس، لذلك كانت السلطة بمثابة آفة تهلك من يطلبها، على اعتبار أن في السياسة كل شيء حلال و مباح .على الرغم من أن ثقافتنا الإسلامية الأصيلة تأسست وتطورت على مكارم الأخلاق...! ولا يتحقق ذلك إلا من خلال إدراك حقيقة التسامح. فأين الكثير من الشخصيات التي دبرت الدسائس ومارست نفوذا قويا في السياسة حقا قد خرجت خالية الوفاض.

- **حالات اقتصادية**

للعامل الاقتصادي وكما هو معروف أثره البالغ على الإنسان، وشكل حياته ومعيشته وينسحب هذا التأثير في كثير من الأحيان على أخلاقيات الإنسان وسلوكياته، وحتى نزعاته النفسية، وبالتالي ينعكس هذا التأثير على تحركات الإنسان، وتصرفاته في مجتمعه الذي يعيش فيه، ويتضح ذلك فيما فعله ملك بلاد ما وراء النهر "الخاقان الخضر بن إبراهيم" مع الحافظ أبو المعالي محمد بن محمد بن زيد العلوى الحسيني، الذي كان يملك أربعين قرية خالصة له بنواحي كِس[34] ، وكان له بستان ليس لملك مثله، فطلبه منه الخاقان الخضر بن إبراهيم عارية ليتنزه فيه، فأبى عليه وقال أعيره إياه، ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين ، فأعرض عنه السلطان وحقد عليه ثم استدعاه إليه؛ ليستشيره في بعض الأمور كالعادة، فلما حضر عنده قبض عليه، وسجنه في قلعته، واستحوذ على جميع أملاكه وحواصله وأمواله، وكان يقول أبو المعالي ما تحققت صحة نسبى إلا في هذه المصادرة، ثم منعوه الطعام والشراب حتى مات سنة 480هـ /1087م، وقُتل ابنه نيف و490هـ /1096م[35].

وقد قُتل أبو محمد السمعاني على يد جماعة من السراق دخلوا داره، وكان نائما فخنقوه حتى مات، وقد اتفق أن امرأة لبعض الأمراء الأتراك قد أودعت عند زوجته وديعة نفيسة، فدخل السراق لسرقة الوديعة[36].

وودع الفقيه أبو الليث أحمد بن عمر بن شيخ الإسلام أبى حفص النسفي أهالي بغداد بعد أداءه فريضة الحج سنة551هـ /1156م وخرج إلى بلده وكان ينشد وقت الوداع:

يا عالم الغيب والشهادة مني بتوحيدك الشهادة

أسأل في غربتي وكربي منك وفاة على الشهادة[37]

فلما وصل قومس وجاوز بسطام، خرج جماعة وقطعوا الطريق على القافلة،وقتلوا مقتلة عظيمة من العلماء والقافلين من الحجاز أكثر من سبعين نفسا، وكان فيهم المجد النسفي فضربوه ثلاث ضربات، فمات سنة 552هـ/1157م[38].ولا شك أن للعامل الاقتصادي تأثيره الكبير على الأمن بشكل متبادل أي بشكل مؤثر ومؤثر به

هكذا كان التعبير عن جشع الإنسان هو التعبير الصحيح الذي يكون سببه هو وجود الأهواء والشهوات والميول، والتي تحرك الإنسان نحو الهاوية والسقوط والانحدار.

- **حالات اجتماعية**

إن قبضة الموت التي تخنق أنفاس الأبرياء من البشر بدون رحمة، تحيل الحياة إلى مأساة فبعض الفئات الاجتماعية تقدم على إزهاق النفس الإنسانية تحت عناوين مضللة، كالحفاظ على الشرف والدفاع عن العرض، ناسين أو متناسين أن هذه المبررات لا يقبلها الدين الإسلامي الذي يحرم قتل النفس بغير حق، فقد قُتلت الشاعرة رابعة بنت كلب القزداري في عهد السلطان محمود الغزنوي، لعشقها غلام أخيها الحارث المسمى ـ بكتاش ـ وعلى الرغم من أنها تسامت بعشقها إلى عشق الله، إلا أن أخاها أساء الظن بها، فقتلها وألقى بعشيقها في غيابة الجب. فلما تأتى لبكتاش الخروج من الجب بادر إلى قتله[39].

وقامت إحدى نساء العامة سنة431هـ/1039م بقتل زوجها أبى الحسن العراقي الكاتب، بدس السم له في الطعام، عندما سمعت بأن زوجها يخونها مع مطربة راقصة، وأنه ينوي أن يطلقها ويتزوج بالأخرى، وكان سيء الطبع ظنينا. ومن ثم سارعت بالقضاء عليه[40]. وكان البيهقي قد عاده في الأسبوع الذي لقى حتفه، فوجده قد أشرف على الهلاك، ولكنه كان حافظا لوعيه، وقد أوصى بدفنه في مشهد علي بن موسى الرضا في طوس[41] .

- **حالات صحية**

لاشك أن المرض لا يقتل، و لكن نهاية الأجل، فالموت قدر حتمي، بمرض أو بدونه، و لكن اعتادت النفس البشرية أن تربط بين المرض والموت، رغم قناعتها بأنهما ليسا متلازمين، فكم من مريض عاش وسليم باغته مفرق الجماعات. وقد يكون المرض في بعض الحالات مؤشرا للموت. والأمثلة التالية توضح ذلك :

فقد مات عضد الدولة فناخسرو بن الملك ركن الدولة الحسن بن بويه سنة372هـ/982م بعلة الصرع وكان يقول" ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه" ويرددها إلى أن مات، وأنشد في احتضاره قبل ترديده لهذه الآية قول القاسم ابن عبيد

الله:

قتلت صناديد الرجال فلم أدع عدوا ولم أمهل على طيه(ظنه) خلقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهما فاخمد جمرتي فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ملقى
فأذهبت دنيائي وديني سفاهة فمن ذا الذى منى بمصرعه اشقى[42].

ولما اشتد إسهال خوارزمشاه وضعفه (ت423هـ/1031م)، طلب الوزير أحمد حسن وقال له: " إني انتهيت ليس اليوم يوم جزع ولا يجوز البكاء، فإن الموت نهاية كل حي، فعليكم أيها الرجال أن تكونوا جميعا، وأن تعملوا على أن يبقى موتي سرا في هذه الليلة وغدها، فإذا ذاع خبر موتي بعد مسيرة منزل فأعملوا ما ترون، فإن بلغ خبر موتي إلى أسماع على تكين قبل أن تعبروا جيحون والعياذ بالله، فإنكم وهذا الجيش تلقون ما لم تلقوا طول حياتكم، وعلى أميرك، بعد أن يبلغ الحضرة مع الجيش أن يخبر السلطان بما كان من أمري، ليس لدي قدرة على الكلام أكثر من هذا، وإني الآن منصرف إلى إسلام الروح وتكرار الشهادة "[43].

ومات الوزير أحمد حسن لإصابته بمرض عضال، وكان لا يقوى على الحضور إلى ديوان الوزارة[44]. وذلك في محرم سنة424هـ/1032م وقد رثاه أبو نصر قائلا:

يا ناعيا بكسوف الشمس والقمر بشرت بالنقص والتسويد والكمد[45].

ومرض السلطان بركياروق بالسل والبواسير، واشتد مرضه، فمات سنة498هـ/1104م[46]. وأصيب الخاقان محمد بن سليمان المسوسي المعروف بأرسلان خان بالفالج، ومات في بلخ، ودفن بمدرسته سنة522هـ/1128م[47]. كما مات الفيلسوف قطب الزمان محمد بن أبي طاهر الطبسي بسرخس سنة 539هـ/1144م بعد ما أصابه الفالج، وكانت خاتمة عمره على التوبة والإنابة، وقال: أذنت تعزيتي، ولاذت نفسي بالموت[48].ومات السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه سنة547هـ/1152م وكان مرضه حُمى حادة نحو أسبوع [49].ومرض خوارزمشاه اتسز بن محمد ابن انوشتكين، وكان قد أصابه فالج، فتعالج منه فلم يبرأ، فاستعمل أدوية شديدة الحرارة بغير أمر الأطباء، فاشتد مرضه وضعفت قوته، فمات سنة551هـ /1156م[50]. ومات السلطان سنجر بعد إصابته بالقُولَنج ثم الاسهال سنة552هـ /1157م[51]

وقد يكون الموت نتيجة لانتشار الأوبئة[52] فقد قال ابن الجوزي: ورد كتاب سنة449هـ /1057م من تجار ما وراء النهر، أنه وقع في هذه الديار وباء عظيم مسرف، حتى انه خرج من هذا الاقليم في يوم واحد ثمانية عشر ألف جنازة[53] ، ودونت عن هذا الوباء قصص مروعة، وانتشرت المجاعة وعدمت الأقوات[54]، ومات في هذه الفترة مئات الألوف، وممن توفى في هذا الوباء أبو الحسن على بن عبد العزيز بن محمد الديزكي اللاحظي الزبيري من أولاد الزبير بن العوام، توفى

أبو الحسن بديزك من الوباء العام[55]. والشيخ الزاهد الخطيب أبو محمد عبد الجبار بن أحمد الداري، كان أخر مجلس أملاه سنة الوباء العام وتوفى بعده بقليل، ودفن في الدار الجوزجانية[56]. والشيخ الامام عبد الملك بن احيد الخرقاني، كان مفتيا عظيما، مات في الوباء العام بخرقان[57]. وفى عام478هـ/1085م عم الطاعون خراسان، وتعقبه موت الفجأة ثم أخذ الناس الجدري في اطفالهم[58].

أما موت الفجأة فهو موت غير متوقع، يحدث دون سابق إنذار خلال فترة قصيرة لا تتجاوز الساعة من الزمن. وإن معظم حالات الموت المفاجئ تكون بسبب اضطرابات في الشريان التاجي للقلب. وقد توفى البديع الهمذاني أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد الحافظ المعروف ببديع الزمان سنة 398هـ/1007م وهو صاحب المقامات المشهورة والرسائل الرائعة مات من السكتة وعجل بدفنه، فأفاق في قبره وسمع صوته بالليل وأنه نبش عنه، فوجدوه قد قبض على لحيته، ومات من هول القبر[59].

والمحدث أبو الحسن على بن إبراهيم بن نصرويه بن سختام العربي السمرقندي لم يقض له الحج فرجع يريد خراسان، وأدركه أجله فجأة في الطريق في آخر سنة439هـ/1047م[60]. وكذلك أبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي الأشعري واعظا كاتبا ورد بغداد ووعظ بها، وكان من المتعصبين للمذهب الأشعري، ورحل من بغداد قاصدا بلده، فمات فجأة في الطريق بإسفزارين سنة 498هـ/ 1104م [61]

ومات الحافظ أبو على الحسن بن الحسين المعروف بألب ارسلان الزركرانى فجأة[62] ، قال النسفى انه توفى سنة519هـ /1125م وهو ابن 139 سنة وخرجت الحيات من المقبرة التي دفن فيها [63]. وتوفى أبو بكر محمد بن عمر كاك الحنفى المقرئ في طريق الحجاز فجأة سنة525هـ/1130م[64]. كما توفى الشيخ المقرئ عبد الغفار بن أحمد بن محمد بن يعقوب السمرقندى سنة 522هـ/1128م في البادية قبل أن يحج ودفن بها[65]. كما توفى محمد بن مسعود بن الحسين بن الحسن الكشاني قاضى بخاري فجأة بعد صلاة التراويح، ودفن ببخارى سنة555هـ/1160م [66]

وعن الحوادث فقد مات أبو نصر اسماعيل بن حماد التركي اللغوي سنة400هـ/1009م مترديا من سطح نيسابور، وقيل انه عمل شبه جناحين وقال: أريد ان أطير، فأهلك نفسه[67]. وصعد ستى بن ألتونتاش ذات يوم إلى السطح للهو، فسقط ومات، وقد حزن السلطان لفقده، وقد مات نتيجة لإسرافه في الشراب، وذلك عام 424هـ/1032[68]. والامام محمد بن محمد بن أيوب القطوانى، كان مفتيا واعظا مفسرا، وعظ يوما في الجامع وصلى العصر، ثم ركب فرسا له، فسقطت قطعة من السور، فنفر الفرس ورماه ، فاندقت عنقه وتوفى سنة506هـ/1112[69].

وقام عالم اللغة والأدب أبو القاسم محمود بن عزيز الخوارزمي بذبح نفسه، في أوائل سنة521هـ/1127م ووُجد بخطه رُقعة فيها" هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ

به غيرنا"[70].

واحترق الفقيه أبو نصر عبد الرحمن بن محمد الخطيبي الخرجردي في وقعة الغز في المنارة، وذلك أنه صعد في جماعة إلى المنارة بأسفل الماجان، فرمت الغز المنارة بالنار فاحترقت، واحترق أبو نصر هو وابنه عبد الرزاق، وذلك سنة548هـ /1153م[71]. وعثر محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزي النحوي ابن النحوي بعتبة بابه، فسقط على وجهه ورهن عظمه، فمات سنة609هـ/ 1212[72].

وإذا انتقلنا إلى الوصية، فالوصية مشروعة، وقد دل على مشروعيتها الكتاب والسنة والإجماع قال تعالى[**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ**][73].وقوله تعالى[**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**][74].

كما بين لنا الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) عدم طول الأمل وانتظار قرب الأجل والتفكير في الدار الآخرة، والاستعداد لها؛ بأخذ الزاد وأداء حقوق العباد، والاحتياط بأن تكون الوصية مكتوبة عند المسلم، إذا كان له شيء يريد أن يوصي فيه، لأنه لا يدري متى تأتيه منيته فتحول بينه وبين ما يريد من ذلك.

وتختلف الوصايا باختلاف المواقف والظروف، ومنها وصية سياسية بالحكم، ووصية برعاية الأولاد، ووصية بالأموال والممتلكات، ووصية بالعلم ووقف الكتب، ووصية بالغسل والدفن.

أما الوصية السياسية فنجد أن معظم السلاطين قد اوصوا بولاية العهد الى ابنائهم أثناء مرضهم، فعندما أحس السلطان محمود الغزنوي بدنو أجله عام421هـ /1030م أوصى بالسلطنة من بعده لابنه محمد، وهو الأصغر وكان نائبا له ببلخ[75]. ولما أدركت جغري بيك الوفاة أرسل نظام الملك برسالة إلى ابنه ألب ارسلان يقول فيها: "عليك أن تُعين هذا الشخص كاتبا ومستشارا لك، ومسئولا عن تدبير أمورك[76]. ونفذ ألب أرسلان الوصية فأصبح نظام الملك وزيرا له وهو أمير، ومسئولا عن خراسان وأعمالها، إلى أن آل العرش السلجوقي إلى ألب ارسلان سنة455هـ/1063م[77]. ولما جُرح الب ارسلان، أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه، وكان معه، وأمر أن يحلف له العسكر، فحلفوا جميعهم، وكان المتولي للأمر في ذلك نظام الملك، وأوصى الب أرسلان ابنه ملكشاه أيضا ،أن يعطي أخاه قاروت بك بن داود أعمال فارس وكرمان، وشيئا عينه من المال، وأن يُزوج بزوجته[78]

كذلك الحال عندما اشتد مرض السلطان بركياروق وأيس من نفسه، أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر، وجعل الأمير إياز أتابكه، وجمع الأمراء واستحلفهم على ذلك فحلفوا سنة498هـ/1104م[79].

وبعد وفاة السلطان مسعود الثالث الغزنوي تولى ابنه كمال الدولة شيرزاد الحكم، بناء على وصية والده، فحكم عاما واحدا، ثم ثار عليه أخوه أرسلانشاه، وقتل سنة509هـ/1115م[80]. ولما أحس السلطان سنجر بدنو أجله، أوصى بأن يخلفه على

خراسان ابن أخته الملك محمود بن محمد بن بغراخان[81].

وعن الوصية برعاية الأولاد، فكان الآباء يحرصون عند الوفاة بالتوصية على أبنائهم، وخاصة من الناحية العلمية[82]. وقد أوصى خوارزمشاه سنة423هـ/1031م قبيل وفاته أن يراعى السلطان مسعود حقوق خدمته في أولاده، خاصة أنه بذل أعز شيء وهو روحه في رضاه[83].

وأوصى الشاعر عبد الملك البرهاني ـ لما أحس بدنو أجله ـ السلطان ملكشاه برعاية ابنه الأمير معزى، وقال قطعة في توديع ابنه، وأرسلها إلى السلطان وفيها هذا البيت:

ذهبت وأعقبت ابنا لي خلف صدق

وأسلمته إلى الله ثم إلى الحاكم الرفيق

ولكن لم يظفر معزى بالقربى من السلطان، إلا بعد توسط الأمير على فرامرز من أقرباء السلطان[84].كما أوصى الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفلخاري المعروف بالمروالروذى(ت536هـ /1141م)) أبى بكر السمعانى على بنيه، وكان إماما فاضلا ، قُتل شهيدا في الوقعة الخوارزمشاهية حيث أصابه سهم ، وهو في الصلاة، فمات منه[85].

وفيما يخص الوصية بالأموال والممتلكات، فقد أوصى السلطان الب ارسلان قبيل وفاته أن يعطى ابنه إياز خمسمائة ألف دينار[86]. ولما مرضت الخاتون خطيبة سنجر في أصفهان، كتبت وصيتها بأن تهب جزء من مهرها إلى حاكم طبرستان، وأن تشتري قصرا معينا تحوله إلى زاوية للعبادة، وأوقفت أملاكها وممتلكاتها في أصفهان، للإنفاق عليه. وقد أطلق العامة عليها لقب الزاهدة، وقد بلغ مهر هذه الخاتون حوالي مائة وستين ألف ألف دينار[87] .

ووصية بالعلم والكتب حيث أوصى يحيى بن عيسى(ت493هـ/1099م) صاحب المنهاج في الطب بكتبه، أن تكون وقفا بمشهد أبى حنيفة[88] . كما أوصى أبو الخطاب العليمي بوقف كتبه وأجزاءه في المسجد، وكان أبو الخطاب قد عنى بالحديث والتجارة في كل بلد يدخله، ويكتب الأجزاء بخطه، حتى جمع من ذلك شيئا كثيرا، فإنه دخل مصر وحلب والموصل والري ونيسابور وسمرقند، وقف الكتب بدرب دينار، ولما توفى بدمشق سنة574هـ /1178م حُملت كتبه إلى مسجد الزبيدي، فتسلمها صبيح وصارت من كتب الوقف[89].

أما الوصية بالغسل والدفن فقد أوصى المحدث أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء (ت458هـ /1065م) أن يتولى غسله الشريف أبو جعفر، وكان وصيته إليه أن يكفن في ثلاثة أثواب، وأن لا يدخل معه القبر غير ما غزله لنفسه من الأكفان، ولا يخرق عليه ثوب، ولا يقعد لعزاء[90].

وكان البعض يوصى بالدفن في داره مثل الشيخ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل المقرئ(ت486هـ/1093م)[91] والوزير عبد الرازق بن عبد الله

الطوسي(ت515هـ/1121م) وزير السلطان سنجر[92] وعبد الملك بن عبد الرازق الطوسي النيسابوري(ت546هـ/1151م) الذي أوصى أن يدفن بداره في نيسابور[93] وايضا أبو بكر محمد بن محمد الخلمى(ت547هـ/1152م) من أهل بلخ[94]، ويبدو ان دفن الموتى بالدار كان مألوفا في كثير من بلاد المشرق الإسلامي.

كما وصى البعض الآخر بأن يدفن في الصحراء ، مثل أبو الفتح سهل بن أحمد الارغيانى(ت499هـ /1105م) من بان إحدى قرى أرغيان[95]، وكان البعض يبنى قبره قبل وفاته، ويوصى بدفنه فيه، وقد أوصى أبو الحسن العراقي الكاتب (ت429هـ/1037م) بنقل رفاته إلى مشهد علي بن موسى الرضا في طوس ليدفن هناك، وكان قد أعد العدة لذلك من قبل فأجرى الماء في قناة المشهد، وكانت قد جفت، وأقام هناك خانا، وأوقف على القناة والخان قرية قليلة الإيراد[96]. وأحمد بن على الطريثيثى الذي حفر مقبرته بنفسه، وكان يمضى إلى هذا الموضع باستمرار، ويختم فيه القرآن عدة سنين قبل وفاته[97].

كما كان الناس بخراسان وبلاد ما وراء النهر يفضلون أن يدفنوا في بلادهم ومواطنهم الأصلية، وكان بعضهم يوصى بذلك قبل وفاته[98]. ومنهم أبو الحسن على بن عبد العزيز ابن الحسن الجرجاني، كان فقيها أديبا شاعرا مات بنيسابور سنة 366هـ /976م وحمل تابوته إلى جرجان، ودفن بها [99].وأبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفراييني الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي بنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور ، وتوفى بنيسابور سنة418هـ /1027م، ونقل إلى اسفرايين ودفن بها[100].والفقيه أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موسى البيهقى 458هـ/1065م توفى بنيسابور، ونقل تابوته إلى بيهق[101]. والخطيب أبو بكر محمد بن إبراهيم بن محمد بن نوح ابن زيد بن النعمان النوحى النسفى (ت459هـ/1066م) توفى بسمرقند، وحمل تابوته إلى نسف ودفن في مقبرة النوحيين[102]. والفقيه فخر الإسلام أبو الحسن على بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوي النسفي صاحب التصانيف الجليلة توفى بكس سنة 482هـ/1089م وحمل إلى سمرقند، ودفن بها على باب المشهد بجاكرديزه[103]. وأبو بكر محمود بن مسعود بن عبد الحميد قاضى القضاة الشعيبى البوزجندى توفى بسمرقند سنة514هـ/1120م وحمل تابوته إلى بخارى[104]. والشيخ الإمام المحدث أبو المنور بدر بن زياد بن عبد الله الخُجندي توفى بسمرقند سنة (ت515هـ/1121م) وحمل تابوته إلى خجند[105]. والقاضى الإمام تميم بن محمد بن تميم المروزى أقام بسمرقند وتوفى بها سنة 520هـ/1126م وحمل تابوته إلى مرو[106].

كما كانوا يفضلون أيضا أن يدفنوا بجوار أقاربهم، يتساوى ذلك الحكام والعامة، فنجد السلاطين السلاجقة الأوائل دفنوا في مرو التي يوجد بها قبر جغري بك داود، وعندما توفى طغرل بك بالري سنة 455هـ/1063م نقل إلى مرو، ودفن بجوار قبر أخيه داود[107]. وكذلك دفن السلطان سنجر بمرو[108].

وطلب السيد أبو طاهر الميهني أن يكون قبره بجوار والده الشيخ أبو سعيد الميهني[109]. كما طلب القشيري (ت465هـ/1072م) تلميذ أبي علي الدقاق وزوج ابنته أن يدفن في نيسابور إلى جوار شيخه ابى على الدقاق[110]. كما دفن الشيخ أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجوينى(ت478هـ/1085م) بجوار والده في نيسابور[111] وكان للبيت السمعاني مقبرة خاصة بمرو وهي مقبرة سنجدان، وقد دفن بها معظم أعيان البيت السمعاني[112]. ولما استشهد الفقيه أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مازه البخاري المعروف بالحسام سنة536هـ/1141م نُقل إلى بخارى بعد سنة عند والده[113]. وفي نيسابور دفن أبو بكر وجيه بن طاهر الشامي(ت541هـ/1146م) في مقبرة الحسين بجوار أخيه ووالده[114].

المبحث الثاني:

مراسم الدفن والعزاء

كان من ضمن العادات المُتبعة في بلدان المشرق الاسلامي، أنه عند وفاة شخص ينطلق الصياح من النساء إعلانا للوفاة[115]، مع ما يصحب ذلك من بكاء ونياحة[116]، وأن تتبعه النساء، ويقمن بالنواح خلف الجنازة، حتى مكان المقابر، تتقدمهن سيدة عجوز تسمى نائحة[117] وتردد باقي النساء فعل ما تقول[118]. وكانوا يمزقون الثياب تعبيرا عن الحزن، خاصة لو كان المتوفى شابا، وله أطفال صغار[119]، وكانت عادة شق الثياب أيضا لدى الغلمان عند وفاة السلاطين الذين يعملون عندهم[120] كما كان ينثر أهل الميت التراب والتبن على رؤوسهم، ويضربون على صدورهم[121] ويمرغون خدودهم في التراب[122] وكان العلماء يحذرون أقاربه من اتباع هذه العادات[123].

ولعل مرد هذه العادات المخالفة للشرع، نتيجة لانتشار عدة شائعات مرتبطة بالعزاء والمآتم ولطم الخدود في بعض البلاد خلال فترة البحث، وهي أن امرأة من الجن اسمها أم عنقود، توفى ابنها عنقود، فأشيع أنه من لا يعمل مآتما من النساء، أصابها وجع الرأس والحلق، ومن ثم قامت نساء العامة بلطم خدودهن، وهن ينشدن:

يا أم العنقود أعذرينا قد مات عنقود وما درينا [124].

وقد أجمعت الأمة على تحريم النواح، والصياح والدعوى بدعوى الجاهلية، ولطم الخدود، وشق الجيوب وإظهار الجزع، لأنه يشبه التظلم من الظالم، وهو عدل من الله سبحانه. ومثله إلقاء تراب على الرأس، ودعاء بويل وثبور. ولا بأس بالبكاء بدمع، ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم [لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ][125].

أما بقية مراسم الجنازة[126]. فلا تختلف عما هو معروف، فبعد أن يغسل المتوفى ويكفن[127]، يُحمل للصلاة عليه في المساجد، ويدفن بعد ذلك. وكان أقارب

المتوفي يبادرون بتلاوة القرآن الكريم جهرا بجواره ترحما عليه[128]، كما كانوا يقرأون القرآن أمام الجنازة من الدار الذي خرجت منه حتى المقابر[129] وكانت مقابر العامة بسيطة حيث ما تقضى به تقاليد الإسلام، ولكن الوضع يختلف بالنسبة لمقابر الحكام والأمراء، حيث كانت تشيد لهم مقابر ضخمة البناء[130].

ولما توفى الشيخ أبو محمد الجوينى سنة438هـ/1046م شيخ الشافعية بنيسابور، وقد قال أبو صالح المؤذن غسلته، فلما لفته في الأكفان، رأيت يده اليمنى إلى الابط منيرة كلون القمر فتحيرت وقلت هذه بركة فتاويه[131]. وعندما مات الاستاذ أبو اسحاق ابراهيم بن على بن يوسف الفيروزأبادي الشيرازي سنة 476هـ/1083م غسله أبو الوفاء بن عقيل، وصلى عليه بباب الفردوس لأجل نظام الملك، وأول من صلى عليه المقتدي بأمر الله، وتقدم في الصلاة عليه أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء، وهو حينئذ نائب بالديوان، ثم حمل إلى جامع القصر فصلى عليه، ودفن بباب ابرز، وقبره ظاهر[132]. وعندما توفى الأديب أبو منصور محمد بن سليمان بن قترمش بن تركانشاه البغدادى، سنة 620هـ/ 1223م، صُلى عليه بالنظامية ببغداد، ودفن بالشونيزية، وقد رآه بعضهم في المنام، فقال ما فعل ربك بك؟ فقال :

تحاشيت اللقاءَ لسوءِ فعلي وخوفاً في المعاد من الندامة
فلما أن قدمت على إلهي وحاق في الحساب على قلامهُ
وكان العدل أن أصلى جحيماً تعطف بالمكارم والكرامة
وناداني لسان العفو منه ألا يا عبد يهنيك السلامة[133]

وقد خالفت بعض الجنائز ذلك؛ لظروفها الخاصة، منها على سبيل المثال عندما مات خوارزمشاه أثناء حربه لعلى تكين، اخفوا خبر موته، وأعدوا مهد فيل وفى جوف الليل وسدوه فيه، وأقاموا خادما لحراسته. وقالوا أنه جريح لا يقوى على الوقوف، وأنه في المهد ممدد للراحة والاستجمام. وأمر شكر الخادم بأن تدق الكوس، فسار الجيش بأسلحته وتعبئته، ومشاعله تضئ حتى دنت ساعة صلاة الصبح، كانوا قد قطعوا سبعة فراسخ. فنصبوا الخيام والخركاهات والسرادق الكبيرة، وأنزلوا خوارزمشاه من على الفيل وتسامع الناس بخبر موته. ثم إن أحمد وشكر الخادم دعيا بعض نفر من الخواص والطبيب وحاكم الجيش وكلفاهم بالقيام على غسله، وإعداد التابوت، وذلك عام423هـ/1031م[134].

وبعد قتل حسنك - وزير السلطان محمود الغزنوي - شنقا، بقيت جثته معلقة بالمشنقة ما يقرب من سبع سنوات، حتى يبست وصارت أشلاء قديمة وتناثرت، فلم يبق منها أثر. ومن ثم استأذنوا في دفنها، بيد أن أحدا لم يعلم أين دفنت الجثة، ولا أين طرحوا الرأس[135]. ويسير في الناس حديث ام حسنك حين رأت جثة ابنها، وقد قطعت رأسه فقالت:" يا له من رجل عظيم ولدي يمنحه ملك كمحمود عالم الدنيا، فيمنحه ملك كمسعود عالم الآخرة" ويشيع بين الناس قول أسماء بنت أبى بكر حين رأت جثة ولدها عبد الله بن الزبير معلقة فوق المشنقة:" أما آن الوقت لينزل هذا

الفارس عن جواده" [136]. وقد أقامت أم حسنك له مأتما عظيما. كما بقى الشيخ الاجل حسام الدين عمر بن عبد العزيز ابن مازه ، ملقى على التراب بعد قتله على يد كورخان سنة 536هـ/1141م، إلى اليوم الرابع ثم حمل على أعناق الرجال، وصلى عليه في حديقة مدرسة طفغاج خان، ودفن في مقبرة بنى ناجية في مشهد قثم بن العباس على باب المسجد، بجانب قبر الشيخ الامام الخطيب مسعود بن الحسين الكشاني[137].

وعندما قتل الأتراك القارغلية طمغاج خان إبراهيم بن ارسلان خان محمد سنة550هـ/1155م ألقوه في الصحراء[138].

وكان يُعبر عن الحداد إذا كان المتوفى من الشخصيات المهمة، كالحكام والأمراء والعلماء الكبار بإغلاق المحلات التجارية، والعكوف في المنازل مُعصبي الرءوس.

وقد كان من عادة السلاجقة أنهم يسيرون خلف المتوفى مطاطئ الرءوس، حتى إذا ما واروه التراب ارتدوا من أجله الملابس السوداء وشارات الحداد، وتخرج الجنائز ومعها الطبول والنوائح، وخاصة عند وفاة رجال العلم، ففي سنة 484هـ/1091م توفى أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد وهو من رؤساء الشافعية، فسار في جنازته سائر الوجوه ولم يتبعه راكبا سوى الوزير نظام الملك؛ لكبر سنه وجاء السلطان ملكشاه في يوم الوفاة إلى قبره[139].

وكانت جنازات كبار العلماء تمتاز بالازدحام الشديد، وقد حدث ذلك في جنازة الفقيه أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الاسفرائيني سنة406هـ/1015م ودفن من الغد، وصليت على جنازته في الصحراء، وكان إمام جنازته في الصلاة أبو عبد الله بن المهتدى خطيب جامع المنصور، وكان يوما مشهودا بكثرة الناس، وعظم الحزن عليه وشدة البكاء، ودفن في دارة إلى أن نقل منها، ودفن بباب حرب سنة416هـ/1025م[140].

والشيخ أبو سعيد بن أبى الخير الميهنى الذي صادفت وفاته يوم السوق الأسبوعي لمدينة ميهنة، حتى أن أبناء الشيخ لم يستطيعوا أن يصلوا إلى نعش أبيهم[141]. كما كانت جنازة الشيخ أبو المعالي الجويني سنة 438هـ/1046م شديدة الازدحام، حتى أنهم اضطروا بعد الصلاة عليه إلى دفنه في داره مؤقتا، ولم ينقلوه إلى مقبرة الحسين بنيسابور إلا بعد سنتين، حيث دفن بجوار والده، وقد ساد الحزن والجزع كل الناس في جنازته، حتى أنهم كسروا منبره في الجامع المنيعي بنيسابور، ووضعوا المناديل على الرؤوس لمدة عام، وكان اربعمائة من تلامذته يطوفون البلد نائحين عليه، مكسرين المحابر والأقلام، مبالغين في الصياح والجزع، وأكثر الشعراء من المراثي فيه[142]، كما أنه بعد وفاة الشيخ أبى القاسم **القشيرى**"لم يدخل أحد من أولاده بيته، ولا مس ثيابه ولا كتبه الا بعد سنين احتراما له وتعظيما[143] ولما مات أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء سنة458هـ/1065م اجتمع

لـه خلـق لا يحصـون، وعطلـت الأسـواق، ومشـى مـع جنازتـه القاضـي أبـو عبـد الله الدامغاني وجماعة الفقهاء والقضاة وصلى عليه ابنه أبو القاسم عبيد الله، وهو يومئذ ابن خمس عشر سنة وقبره ظاهر بمقبرة باب حرب[144].

وحضر جنازة أبو منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق الشيرازى الأصل البغدادى الصفار الحنبلى المقرئ سنة497هـ/1103م مالا يعد من الناس، وختم في ثاني جمعة من وفاة الشيخ على قبره مائتان واحدى وعشرين ختمة، وحكى السلفي أيضا أن يهوديا استقبل جنازة الشيخ فرأى كثرة الزحام والخلق، فقال: "أشهد أن هذا الدين هو الحق وأسلم"[145]. أما الفيلسوف زين الدين عمر بن سهلان الساوى، فقد أُحرقت تصانيفه مع مكتبته في ساوة بعد وفاته؛ حدادا عليه[146]. وحضر جنازة الشيخ أبو المعالي سعيد بن المطهر الباخرزى سنة 659هـ/1260م أربعمائة ألف إنسان[147].

وإذا انتقلنا إلى الشيعة فمن أخبار الصاحب بن عباد اسماعيل الطالقانى(ت385هـ /995م) وزير مؤيد الدولة أبى منصور بن بويه وفخر الدولة، أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غيره، فانه لما توفى الصاحب أغلقت له مدينة الري، واجتمع الناس على باب القصر ينتظرون خروج جنازته، وحضر مخدومه فخر الدولة وسائر القواد، وغيروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب، صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة، وقبلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس[148].

ولما مات فخر الدولة على بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي سلطان الري وبلاد الجبل سنة387هـ/997م في قلعة بالري، استولت زوجته السيدة ام مجد الدولة على جميع خزائنه، وكان شحيحا لدرجة أنه صنع لمفاتيح خزانته كيسا من الحديد بالمسامير، لا يفارقه أبدا. فلما طلبوا له كفنا لم يجدوا، لرفضها إخراج شيء من المال، وبالتالي اشتروا له من أموال الجامع ثوبا كفنوه فيه، ولم يتمكنوا من دفنه بسبب شغب الجند في الديلم، فبقى حتى انتن جسده، فلم يمكنهم القرب منه، فشُد بالحبال وجر على درج القلعة من بعد حتى تقطع[149]. ومات الوزير فخر الملك أبو غالب بن الصيرفي محمد بن على بن خلف سنة407هـ/1016م عندما نقم عليه مخدومه سلطان الدولة أبى شجاع فناخسرو البويهي، وحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الاهواز، ودفن هناك ولم يستقص دفنه، فنبشت الكلاب قبره وأكلته ثم أعيد دفن رمته، فشفع فيه بعض أصحابه، فنقلت عظامه إلى مشهد هناك، فدفنت في السنة التي بعدها[150].

أما مراسم العزاء(المآتم)

فكان سلاطين الدولة الغزنوية وخاصة السلطان محمود يقدروا العلماء أحياء وأمواتا، ويقيموا وزنا لمآتمهم، ومن ذلك عندما مات أبو صالح ـ خال والدة أبى صادق التباني ـ من كبار علماء الحنفية وكانت منزلته لدى السلطان محمود الغزنوي

من الرفعة، بحيث قال عند وفاته سنة 400هـ/1009م لوزيره الخواجة أبى العباس الإسفرايني: اذهب إلى مدرسة هذا الإمام لإقامة مأتمه، إذ ليس له ولد يقوم بذلك، وكنت قد اعتزمت القيام بنفسي بهذا الواجب، استجابة لضميري، ولكن نظرا لأن الناس قد يلوموني أو يرون في هذا عيبا، رأيت أن تقوم بذلك، وليس بين خدامنا من هو أجل وأعظم منك شأنا لأنك وزيرنا وخليفتنا"[151].

ومن العادات التي يذكرها البيهقي أن البياض كان رسم العزاء في الدولة الغزنوية[152]. ويبدو ان اللون الابيض كان أكثر الألوان شيوعا في ألبسة الرأس، وكان من علامة النبل[153]. فحين عرف الأمير مسعود خبر وفاة أبيه جلس للعزاء، مرتديا قباء ورداء وعمامة بيضاء كلها، وحضر الأعيان والمقدمون وأصناف الجند للعزاء مرتدين البياض، وكان الجزع شاملا واستمر العزاء السلطاني على الرسم ثلاثة أيام[154].

ولما علم السلطان مسعود الغزنوي بوفاة الخليفة القادر بالله سنة423هـ/1031م، أقام له مأتما في غزنة، وارتدى عمامة وقباء أبيضين، كما حضر الموالي والحشم جميعا مرتدين البياض وعطلت الأسواق حدادا، وأخذ الناس يفدون أفواجا، واستمر العزاء ثلاثة أيام، وعاد الناس بعد ثلاثة أيام إلى الأسواق، وفتحوا أبواب الدواوين وقرعت الطبول والدبابات، إيذانا بانتهاء الحداد[155].

ومن العادات المتعارف عليها أن بعد دفن الميت، يعقد العزاء مدة ثلاثة أيام[156] فعندما جاء نعى والدة أبي نصر مشكان في الثامن عشر من ربيع الثاني لسنة 423هـ/1031م، جلس أبو نصر للعزاء ، وقد حضر الوزير أحمد حسن معزيا، وأدار طرفه نحو هذه الحديقة التي كانت تشبه الجنة، لكثرة ما فيها من الياسمين المنور والرياض والورود، وأتوا بحصانه قرب الرواق المعد للمعزيين فركب ، وقبل أبو نصر ركابه، ومع أن السلطان كان قد أوفد أبا الحسن العقيلي ليعزيه بلسانه، فإنه عندما مثل في الحضرة يوم الأربعاء، عزاه بنطقه السامي[157].

وقد خالف السلطان مسعود ذلك العرف عندما جاء كتاب من غزنة في منتصف ربيع الأول سنة430هـ/1038م بوفاة أبنه الأمير سعيد. وكان السلطان في سراي الحرم، وكان يشرب. فوضعوا الكتاب ولم يجرءوا على أن ينقلوا إليه هذا النبأ، وهو بين كؤوس الشراب. وفى الغداة، حين جلس على التخت، وقبل أن يعدوا الأمر للاستقبال، حمل خادم الرسالة وأعطاه إياها، ثم انصرف. فلما قرأ السلطان النبأ نزل من على التخت وأمر الخدم أن يسدلوا الستار الذي رفعوه أمام التخت، ونودي بأن لا استقبال اليوم. وعاد الغلمان وجاء الوزير والأولياء والحشم إلى الإيوان، وظلوا جالسين إلى قبيل الظهر، عسى أن يخرج السلطان للعزاء، فأوفد إليهم رسولا بأن يعودوا إلى بيوتهم " لأنا لن نجلس للعزاء " فأنصرف القوم. وكان هذا الشاب أقرب أبنائه منه وأحبهم إليه، وقد نصبه ولي عهده [158].

بينما ضرب وزيره أحمد عبد الصمد نموذجا للصبر يحتذى به، عندما قتل

الغلمان ابنه عبد الجبار برميه بالسهام والبلط وقتلوه وولدين له وابن عمه وأكثر من أربعين رجلا من أتباعه. جلس الوزير في مأتم ولده، وذهب لعزائه جميع الأعيان والعظماء، وكان من قوته أنه لم يذرف دمعة واحدة. وقد كان هذا الرجل نسيجا وحده في كل نواحي العظمة، لقد رأوه في هذه المصيبة صابرا وأعجبوا به، وحقا كأن الشاعر قصده في قوله:

يبكى علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكبادا من الإبل[159].

وأوفد إليه الفقيه عبد الملك الطوسي النديم برسالة العزاء، وكان هذا الفقيه حلو الحديث عاقلا، فلما بلغ عزاء السلطان للوزير نهض وقبل الأرض ثم جلس وقال: "إني وأولادي وكل من أعول فداء شعرة واحدة من مولاي فإن سعادة الخلق في أن يموتوا في رضاء السلطان"[160].

ولما مات أبو نصر مشكان سنة430هـ /1038م كلف السلطان مسعود كلا من أبى القاسم كثير وأبى سهل الزوزنى بالجلوس في مأتمه، وتقبل العزاء فيه. وقد جاءا ومكثا ذلك اليوم كله في تجهيز جنازته، وحمل نعشه إلى المدافن، وصلى عليه خلق كثيرون. وقد حضر ذلك اليوم السبهسالار والحاجب الكبير ومعهما كثير من الوجهاء. ومن العجائب أنه كان في ذلك المكان الذي دفن فيه رباط بجواره قبران، وكان أبو نصر قد قال " يا ليت هذا الرباط يكون قبرا ثالثا لي" وقد أعد له قبر فيه، وهنالك ظل جثمانه عشرين يوما، ثم نقل إلى رباط كان قد أعده في حديقته بحي لشكري[161].

ومع بُعد البلاد عن بعضها كان يعقد العزاء في المكان الذي حدثت به الوفاة، وإذا كان له قريبا في بلد آخر بعيد، كان من الممكن أن يعقد عزاءً آخر، فمثلا عند وفاة أخت الأمير أبى النصر- وهي زوجة الخليفة القائم بأمر الله - (ت440هـ/1048م)، جلس رئيس الرؤساء أبا القاسم للعزاء في بغداد، وقد أمر بعدم ضرب نوبة الطبل في دار المملكة، طوال الأيام الثلاثة المخصصة للعزاء[162].وعند وفاة السلطان الب ارسلان عام 465هـ/1072معقد له العزاء ببغداد، وأقامت خاتون زوجة الخليفة العزاء والمناحة[163] وجلس الوزير فخر الدولة بن جُهير للعزاء به في صحن السلام[164]. وعندما توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جُهيرسنة471هـ/1078م، نفساء بولد مات من يومه، ودفنا بدار الخلافة، جلس الوزير فخر الدولة بن جُهير، وابنه عميد الدولة زوجها، للعزاء في دار بباب العامة ثلاثة أيام[165].

كما جلس مؤيد الملك بن نظام الملك للعزاء ببغداد، عندما وصله خبر وفاة اخيه جمال الملك سنة475 هـ/1082م،وحضر الوزير فخر الدولة بن جُهير، وابنه عميد الدولة معزيين، وأرسل الخليفة إليه في الثالث فأقامه من العزاء[166].

ولما وصل خبر وفاة الخاتون بأصفهان سنة482هـ/1089م ابنة السلطان ملكشاه وزوجة الخليفة المقتدي، جلس الوزير أبو شجاع بباب الفردوس للعزاء بها

سبعة أيام، وخرج أبو محمد التميمي وعفيف، لتعزية السلطان[167].

ولما وصل خبر وفاة السلطان بركياروق سنة498هـ/1104م إلى اخيه السلطان محمد، وهو يحاصر الموصل، جلس للعزاء، وأصلح جكرمش، صاحب الموصل[168].

وعندما بلغ السلطان سنجر وفاة أخيه السلطان محمد سنة513هـ/1119م لحقه حزن عظيم وأظهر من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله، وجلس للعزاء على الرماد، وأغلق البلد سبعة أيام، وتقدم إلى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية، وإطلاق المكوس، وغير ذلك[169].

وكذلك الأمر عند وفاة السيدة تاج الدين خاتون السفرية سنة515هـ/1121م ، أم السلطان سنجر عقد لها العزاء بمرو، وأقيمت المآتم العامة في دار السلطنة بهمذان، وجلس السلطان محمود حفيدها للعزاء في بغداد، وكان حداد لم يُشاهد مثله الناس من قبل.[170] وعندما وصل نعي الإمام المفسر أبو القاسم أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعانى إلي ببغداد،عقد له أبو سعد السمعانى ـ ابن أخيه ـ العزاء بها وكانت وفاته في شوال من سنة534هـ /1139م[171]. كما أمر غياث الدين الغورى عند سماعه نبأ وفاة خوارزمشاه تكش بألا تضرب نوبته لمدة ثلاثة أيام، وجلس للعزاء فيه على ما بينهما من عداوة، ولكنه فعل ذلك مرؤة منه[172].

ولما ماتت السيدة خاتون المستظهرية سنة 536هـ/1141م، أقيمت المآتم لمدة يومين في الديوان الخليفي[173]. برغم عدم بقاء هذه الخاتون زوجة للخليفة المستظهر العباسي طوال حياتها، فقد طُلقت وتزوجت من ملك كرمان[174].

وقد كانت قصور السلاجقة تُقيم وزنا لهذه المآتم، وكان نساء السلاطين يظهرن الأحزان بصورة واضحة ومبالغ فيها، فالخاتون زوجة السلطان ألب أرسلان أعدت المآتم العامة، وجلست على التراب، تلطم خديها، عندما وصلها خبر وفاة السلطان على يد يوسف الخوارزمي في بلاد ما وراء النهر، وذلك يوم الأحد الثامن من جمادى الأولى سنة 464هـ/1071م حيث أغلقت الأسواق أيام العزاء، وجلس الوزير فخر الدولة للعزاء[175].

وعندما توفى داود بن السلطان ملكشاه في سنة474هـ/1081م[176] حزن السلطان حزنا شديدا، وأمتنع عن تناول الطعام والشراب، ورغب في قتل نفسه، ومنع من أخذه وغسله لقلة صبره على فراقه، إلى أن تغير فمكن من ذلك، وأقامت النساء الحزن العام، وجزت شعورهن، كذلك فعل خاصته من الأتراك والتركمان، وشاركهم أهالي مدينة أصفهان في المآتم بالمنازل والأسواق، وبقى العزاء لمدة سبعة أيام، أما السلطان ملكشاه فإنه بقي في حداده لمدة شهر كامل، ولم يروح عنه ويخرجه من هذه المأساة إلا خروجه إلى رحلة صيد[177]. وكتب بخطه رقعة يقول فيها: أما أنا يا ولدي داود فقد خرجت إلى الصيد، وأنت غائب عني، وعندي من الاستيحاش لفراقك والانزعاج لبعدك عني، والبكاء على أخذك مني، ما أسهر ليلي،

ونغص عيشي، وقطع كبدي، وضاعف كمدي، فأخبر أنت بعدي مالك وحالك، وما غير البلى منك، وما فعل الدود بجسمك، والتراب بوجهك وعينك، وهل عندك علي مثل ما عندي، وهل بلغ الحزن بك ما بلغ بي، فواشقاه إليك، وواحسرتاه عليك، وواأسفا على ما فات منك[178]. وحُملت الرقعة إلى نظام الملك فقرأها وبكى بكاءا شديدا، وجمع الوجوه والمحتشمين وقصد بهم القبر، وقرأ الرقعة عليهم وارتج المكان من البكاء والعويل، وتجدد الحزن في البلد، وجلس الوزير عميد الدولة للعزاء في صحن السلام ثلاثة أيام [179].

وعندما مات الملك أحمد بن السلطان ملكشاه سنة481هـ/1088م، وكان ولى عهد ابيه في السلطنة. وكان حينئذ في دار الخلافة، فلم يركب أحد فرسا، وخرج النساء ينحن في الأسواق واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج والمناحات، وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم إظهارا للحزن عليه [180].

كما أقيم حداد عام على السيدة زوجة السلطان طغرلبك ابنة الخليفة القائم بأمر الله عند وفاتها سنة 496هـ/1102م، حيث جلس الخليفة المستظهر بالله لتلقي العزاء في بيت التوبة في أصفهان[181].

وتتجلى مما سبق بعض المخالفات الشرعية في مسألة العزاء وعاداته وطقوسه المتنوعة، ففي بعض المجتمعات يطول العزاء أياماً وربما شهوراً، والشرع ينهى عن ذلك. وقد وردت الرخصة في البكاء بعد الموت بدمع العين وحزن القلب .

وبالنسبة لمراسم المآتم الخاصة بالشيعة، فانه من الواضح أنهم قد رجوا من ذكر مصاب الحسين والنوح عليه فوائد لهم، والظاهر من أقوال المؤرخين أن إقامة شعائر المأتم الحسيني وإحياء ذكرى مصائب آل علي، وإنشاد المراثي وإقامة العزاء على الحسين الشهيد قد راجت رواجاً عاماً في إيران لأول مرة على أيدي البويهيين، كما أن أحمد معز الدولة رحل من ايران إلى بغداد سنة 334هـ/945م وأعلن المذهب الشيعي فيها رسمياً، وأمر بلعن معاوية على المنابر في بغداد، كما أمر سنة352هـ/963م بإقامة الحداد على الحسين يوم عاشوراء وغلق الحوانيت والأسواق فيه، ولبس الناس في هذه اليوم السواد ومنع الطباخين من عمل الأطعمة وخرجت نساء الرافضة مشعثات الشعر، مضمخات الوجوة يلطمن ويفتن الناس.كما حدثت ذلك سنة389هـ/998م وتمادت الشيعة في هذه الاعصر بعمل عاشوراء باللطم والعويل[182].

وعندما مات عضد الدولة فناخسرو بن الملك ركن الدولة الحسن بن بويه سنة 372هـ/982م جلس ابنه صمصام الدولة للعزاء ولطموا عليه أياما في الأسواق، وجاء الطائع إلى صمصام الدولة فعزاه ثم ولاه الملك [183].

ولما مات الصاحب بن عباد اسماعيل الطالقانى سنة 385هـ/995م وزير مؤيد الدولة أبى منصور بن بويه وفخر الدولة بالرى، ثم نقل إلى أصبهان، جلس فخر الدولة للعزاء أياما[184].

وكان علية القوم يرسلون إلى بعضهم البعض رسائل تعازي عن فقد أحدهم أحد أقاربه، ومن ذلك عندما مات ناصر الدين سبكتكين، كتب أبو الفضل الميكالي ـ أحد أمراء نيسابور ـ رسالة يعزى فيها عن فقده، ويظهر العفو والشكر إذا عوفي بخلفه وابنه محمود سبكتكين قائلا: أقدار الله في خلقه لم تزل تختلف بين مكروه ومحبوب، وتنصرف بين موهوب ومسلوب، وأحكام العامرة بالمصائب والنوائب، ومرة بالعطايا والرغائب[185].

ويقول في ندامة المصيبة: " قرحت الأكباد، وأوهنت الأعضاء، وسودت وجوه المكارم، وصورت الأيام في الليالي، وغادرت المجد، وهو يلبس حداده، والعدل وهو يبكي عمارة والدين وهو يعري عباده"[186].

وقد وصل منشور أمير المؤمنين القادر بالله يتضمن التعازي والتهاني حسب الرسم في مثله، جوابا على الكتاب الذي كان قد أرسل بنعي السلطان محمود من أصفهان، وإزماع السفر إلى خراسان، وطلب اللواء والعهد وما يترتب على ذلك من نعوت وألقاب، باعتباره ولى عهد السلطان محمود، وأبلغه أمير المؤمنين في المنشور بإقراره اياه على ما دخل في حوزته ووعده بأن يرسل إليه على الأثر ما طلبه من اللواء والعهد والكرامات مع رسوله[187].

وأرسل السلطان مسعود الغزنوي الفقيه أحمد بن محمد المتكدري الفقيه الشافعي سنة423هـ/1031م سفيراً إلى الخليفة القائم بأمر الله معزيا له بالقادر بالله[188].

وأرسل أبو بكر الخوارزمي محمد بن موسى شيخ الحنفية(ت403هـ/1012م) رسالة إلى رئيس طوس يعزيه في شقيق له يعبر له عن فزع الإنسان للموت، ويبرز السر وراء ذلك، فالإنسان يرى في الميت صورة له ومصير ينتظره[189]. كما كتب أبو بكر الخوارزمي أيضا، إلى رئيس بهراه يعزيه في ابنته، فقال:" لولا ما ذكرته من سترها، ووقفت عليه من غرائب أمرها، لكنت إلى التهنئة أقرب من التعزية، فإن ستر العورات من الحسنات، ودفن البنات من المكرمات...." [190].

بينما حضر الاستاذ أبو اسحاق ابراهيم بن على بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي عند يحيى بن علي بن يوسف بن يعقوب الصوفي برباطه بغزنة يعزيه عن شيخه المطهر أبي سعيد بن أبي الخير، وكان قد غرق في الماء بالنهروان فأنشد.

غريق كأن الموت رق لأخذه فلان له في صورة الماء جانبه
أبى الله أن أنساه دهري فإنه توفاه في الماء الذي أنا شاربه[191]

هكذا كانت الدول تولى هذه المجاملات ـ التعازى ـ أهمية خاصة باعتبارها مدخلا إلى علاقات جديدة فيها نوع من المحالفة أو التحالف.

المقابر والأضرحة[192]

تحظى المقابر بالاهتمام نفسه الذي تحظى به مراسم الدفن والعزاء، وذلك

لكونها أفضل مكان للدفن، والإتباع، ونيل دعاء الزائرين. وكان الموتى ببلاد المشرق الإسلامي يدفنون في المقابر العامة المعروفة. والتي من أشهرها بنيسابور مقبرة الحسين[193] ومقبرة الحيرة[194] ومقبرة الغرباء[195] ،ومقبرة الرمجار[196] ومقبرة يحيى بن يحيى[197] ومقبرة باب معمر[198]، ومقبرة خوانجان[199] ومن مقابر مرو مقبرة سكة تويك، ومقبرة سلكانية، ومقبرة سنجدان، ومقبرة تنوركران[200] ومقبرة نوبهار ببلخ[201]. واشتهرت سمرقند بعدة مقابر منها مقبرة جاكرديزه[202] ، ومقبرة قنطرة غانفر[203] وتربة يقال لها تربة المحمدين، بجاكرديزه ، دفن فيها أكثر من أربعمائة نفس، كل واحد منهم يقال له محمد صنف وأفتى، وأخذ عنه الجم الغفير[204] ، ويقول القرشي:" زادني غيره أن كل واحد يسمى بمحمد بن محمد جمعهم أهل سمرقند بهذه التربة" ولما مات الإمام الجليل صاحب الهداية حملوه إلى هذه التربة وأرادوا دفنه بها، فمنعوا من ذلك، فدفن بالقرب منها. ويوجد حوالي التربة أثر حائط مبنى بالآجر معروف بأنه قبر ذى الفيوض الامام نجم الدين النسفي، وقبر الامام الشيخ ابى منصور الماتريدي[205]. وكذلك مقبرة القضاة التسعة قريبة من بخارى، فيها أمم لا يحصون، وأحدهم أبو زيد الدبوسي[206]. مقبرة بني ناجية في مشهد قثم بن العباس على باب المسجد[207].

ولكن على الرغم من وجود هذه الأماكن العامة للدفن، كان البعض يوصى بالدفن في داره كما اسلفنا، ويبدو أن دفن الموتى بالدار كان مألوفا في كثير من بلاد المشرق الإسلامي، حيث يذكر ابن بطوطة :"من عادات أهل شيراز أن الرجل منهم إذا مات ولده أو زوجته يتخذ له تربة من بعض بيوت داره ويدفنه فيه، ويفرش البيت بالحصر والبسط، ويجعل الشمع الكثير عند رأس الميت ورجليه، ويُصنع للبيت بابا إلى ناحية الزقاق وأيضا شباك حديد، فيدخل منه القراء، ويقرأون القرآن، ويقوم أهل الدار بالتربة ويعرشونها، ويوقدون السرج بها، فكأن الميت لم يبرح، وكانوا يطبخون في كل يوم نصيب الميت من الطعام، ويتصدقون به عنه[208].

كما كان بعض السلاطين والأمراء يدفنون في المدارس فقد قامت السيدة زاهدة خاتون زوجة أقسنقر بن مودود السلغري بدفن جثمان زوجها بزاوية في مدرسة شيراز التي سبق وأن أنشأتها، وأوقفت عليها أموالا وضياعا وممتلكات ورثتها عن والدها وزوجها[209]. وذلك بعد أن أمر السلطان مسعود بقتله نتيجة للفتنة التي قام بها في أصفهان[210].

ودفن السلطان ملكشاه في مدرسة بأصبهان موقوفة على الشافعية والحنفية[211] ،كما دفن الخاقان محمد بن سليمان المسوسي المعروف بأرسلان خان(ت522هـ/1128م) ملك بلاد ما وراء النهر بمدرسة في مرو[212] ،ودفن السلطان خوارزمشاه تكش بن أيل أرسلان (ت596هـ/1199م) في تربة عملها في مدرسة بناها بخوارزم[213]. كما شيدت عمة السلطان جلال الدين منكبرتي السيدة شاه خاتون مدرسة بأصفهان، بأمر من السلطان يساندها في ذلك مقدم الفراشية المدعو "

مقرب الدين مهتر مهتران " بغرض نقل رفاة السلطان الراحل علاء الدين خوارزمشاه إلى هذه المدرسة بدلا من قلعة أردهن التي توصف بأنها أقسى تربة في المنطقة[214].

كما دفن بعض العلماء في المدارس، مثل الشيخ أبو عثمان سعيد الزعفراني الذى دفن بنيسابور في المدرسة التي عرفت باسمه سنة427هـ/1035م[215]. والشيخ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني(ت449هـ/1057م) الذي دفن بمدرسة بسكة حرب بنيسابور[216] ، ودفن الشيخ جمال الإسلام الحسين بن أبى العباس محمد بن الحسن الفوران سنة 519هـ /1125م في مدرسة بسكة سبار بنيسابور[217].

وقد كانت معظم هذه المدارس تضم ضريحا أو أكثر، وموضع هذا الضريح وبناؤه لا يقتطع جزءاً من بناء المدرسة، وإنما روى أنه ينحصر في ركن من الأركان ويحتل من البناء قدر ما تحتله قاعة[218].

وكان بعض البارزين من السلاطين والعلماء يبنون لهم أضرحة أو مشاهد خاصة بهم، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل عند الحديث عن عمارة الأضرحة.

المبحث الثالث

اثر الموت على الحياة السياسية

سنعرض فيما يلي أثر الموت على الحياة السياسية مع التركيز على تنفيذ الوصية وولاية العهد، وما ترتب عليهما من صراعات سياسية وتغييرات جوهرية في علاقات الدولة الداخلية والخارجية. فعندما حضرت الوفاة السلطان محمود الغزنوي عام421هـ /1030م أوصى من بعده لابنه محمد وهو الأصغر، بينما ابنه الاكبر مسعود والذى كان وليا لعهده من قبل قد أزال عنه العهد، وجاء محمد إلى غزنة وأخذ البيعة، وانشغل باللهو فأساء ذلك بعض القادة، فكتبت الحرة الختلية ـ أخت محمود الغزنوي ـ إلى الأمير مسعود تخبره بما حدث، وطلبت منه العودة بأسرع ما يستطيع لينهض للأمر كله، خاصة أن الأمير محمد لا يستطيع القيام بهذا العبء الثقيل. وقد أسرع القادة بمبايعة مسعود، فوقع الخلاف بين الأخوين، لكن سرعان ما انتهى هذا الخلاف بالقبض على محمد، وتولى مسعود الأمر عام 421هـ/1030م واستولى على مكران، وأصبحت الدولة الغزنوية تضم أكثر أجزاء المشرق الإسلامي[219].

وقد تطلع ألب أرسلان أن يلي حكم السلاجقة بعد وفاة عمه، وأبيه[220].وكان السلطان طغرلبك قد تزوج بأرملة أخيه جغرى بيك، وكان لها ابن من جغري بيك هو سليمان واستطاعت بحسن دهائها أن تؤثر في طغرلبك، وتجعله يختار ابنها سليمان وليا لعهده على الرغم من صغر سنه، الذي لم يتجاوز الرابعة ببضعة

أشهر[221].وكان طغرلبك قد بعث إلى الوزير الكندري قبل موته ، فحضر قبل أن يدفن وأخذ البيعة لسليمان بن داود،[222] وبعد وفاة طغرلبك. نفذ وزيره ـ أبو نصر الكندري ـ وصيته، بأن يكون سليمان سلطانا على السلاجقة، وأجلس سليمان على العرش السلجوقي في مدينة ـ الري ـ وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه[223]، متجاهلا أخاه الأكبر ألب أرسلان، الذي أبلى بلاء حسنا مع عمه طغرلبك[224]. وهكذا برزت إلى الوجود مشكلة التنازع على العرش السلجوقي، بصورة هددت كيان الدولة، وهددت بحدوث اشتباكات بين الطرفين، خاصة أنه كان يساند ألب أرسلان رجل زكى هو نظام الملك وزيره[225] ولكن انتهت مشكلة العرش السلجوقي بحسم ألب أرسلان لها بسيفه، فأصبح ألب أرسلان سلطانا على السلاجقة، وأصبح سليمان أخوه وليا لعهده[226]. وقبض على عميد الملك الكندري، وبتحريض من نظام الملك صدر أمر من السلطان ألب أرسلان بقتل الكندري عام457هـ/1064م.

وكان مقتل الكندري على هذه الصورة البشعة، قد وضع حدا للتنافس بين الوزراء في بداية العصر السلجوقي، ولكنه أصبح سنة طوال العصر بين الوزراء ، وقد نبه الكندري قبل تنفيذ حكم الإعدام إلى خطورة هذه السنة السيئة، فالتمس من قاتله أن يحمل رسالتين، واحدة للسلطان، وأخرى للوزير، أما رسالته إلى السلطان ففيها يقول: قل للسلطان لقد خدمتني خدمة جليلة، وأن هذه أجل خدمة أديتها لي ، فقد أعطاني عمك ملك العالم الدنيوي لأتصرف فيه، فلما أمرت بقتلى أعطيتني ملك العالم الآخر جزاء لاستشهادي، وبذلك تم لي على يديكما امتلاك ملك الدارين الفانية والباقية، فقد منحني عمك الدنيا لأحكمها، ومنحتني أنت الشهادة وظفرت بأجر الشهداء[227]. أما الرسالة إلى الوزير نظام الملك" وقل لنظام الملك إنك قد سننت سنة سيئة بقتل الوزراء بئسما عودت الأتراك يقصد السلاجقة- قتل الوزراء، وأصحاب الديوان، ومن حفر قليبا وقع فيه، ومن سن سنة سيئة فله وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، وأنى أدعو الله أن يصيبك ويصيب ذريتك ما أصابني[228]. ولقد استجاب الله تعالى دعوة الكندري، فقد قتل نظام الملك، ومات أغلب أولاده بهذه الميتة السيئة التي استنها، والتي من المحزن حقا أن رجلا كبيرا ووزيرا عظيما " كنظام الملك" لا يبدأ اسمه في الظهور على صفحات التاريخ، إلا متصلا بهذه الفعلة الشنعاء التي أصابت الكندري[229].

وقد رأينا كيف كان تنفيذ الكندري للوصية سببا في قتله. وقد أصبحت هذه الوصية سنة في دولة السلاجقة، ينفذها الوزير مباشرة، ودليل على ذلك أن نظام الملك نفذ وصية ألب أرسلان ،وجعل ابنه ملكشاه ولى عهده سلطانا من بعده.

وكان السلطان ألب أرسلان، قد أوصى وزيره نظام الملك" بأن يكون ملكشاه " ولى لعهده[230] ولقبه بـ (معز الدنيا والدين قسيم أمير المؤمنين)ودربه وهيأه لهذا الغرض، وأشركه معه في حروبه. وألت السلطنة السلجوقية إلى ملكشاه بناء على تلك الوصية، ولما أطمأن ملكشاه إلى خضوع امراء السلاجقة له، أرسل إلى دار

الخلافة يبلغها بوفاة والده، ويطلب من الخليفة العباسي تفويضا بحكم البلاد، وذكر اسمه في الخطبة[231].

وقد ولى ملكشاه العهد لابنه" أبى شجاع أحمد" سنة480هـ/1087م وكان أكبر أولاده، ولقبه (بملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين، وأرسل إلى الخليفة المقتدى ليخطب له ببغداد، فخطب له، ولكنه مات بعد سنة[232]. فصارت ولاية العهد لأخيه بركياروق[233].

هكذا ورث السلاجقة سلطانهم وعرشهم لأول مرة، وسوف تصبح هذه عادة وسنة وهى توريث العرش، مما سيؤدى فيما بعد إلى التنافس والتنازع حول العرش السلجوقى. وكانت ولاية العهد مثار نزاع وفتن ومشكلات طوال العهد السلجوقى، وليس أدل على ذلك مما حدث عقب وفاة طغرلبك، وملكشاه. وبموت السلطان ملكشاه، انفرط عقد الدولة السلجوقية، وتمزقت وحدتها وقوتها وانتهى عصر السلاجقة العظام[234].

أثر الموت على الحياة الاقتصادية

ارتبطت بعض المهن بالمآتم، وشاركت فيها النساء الرجال ومن أشهرها على الإطلاق مهنة تلاوة القرآن الكريم بالأجر في المآتم العامة بين النساء، من أمثال السيدة جليلة بنت على بن الحسن الشجري[235]. من مدينة سجستان ولدت سنة 485هـ/1092م وقد قامت هذه القارئة بحضور عزاء جدة السلطان سنجر وتلاوة القرآن بين النساء، حيث أُقيم العزاء لمدة سبعة أيام متواصلة، وجلس السلطان للعزاء وأقيم الحداد العام في السلطنة[236].

بالإضافة إلى هذه المهنة ظهرت بعض المهن الغريبة التي لاقت رواجاً، على الرغم من مخالفاتها للشريعة الإسلامية، وقد انفردت بها النساء دون الرجال وخاصة العجائز منهن، ومن أشهرها على الإطلاق مهنة النائحة حيث عملت النساء نائحات لندب الميت بالأجر، وكان من العادات المُتعارف عليها في بعض بلاد المشرق الإسلامي أنهم كانوا يؤجرون النائحات اللائي كن يندبن الميت[237] وتردد باقي النساء فعل ما تقول[238].

وقد ورثت السيدة زاهدة خاتون زوجة الأتابك ـ اقسنقر بن مودود السلغرى ـ أموالا وضياعا وممتلكات عن والدها وزوجها، وقامت بتشييد مدرسة في شيراز، وأوقفت عليها ما ورثته وكان ذلك في عهد السلطان مسعود[239].

وأوصت الخاتون خطيبة السلطان سنجر قبل موتها في أصفهان، باتخاذ زاوية للعبادة، وأوقفت أملاكها وممتلكاتها في أصفهان للإنفاق عليها[240] .

هكذا كان الورث والوقف من الأثار المباشرة للموت على الحياة الاقتصادية، فضلا عن المهن التي صاحبت المآتم، وكان لها انعكاسها بشكل أو بآخر على الحياة الاقتصادية.

أثر الموت على الحياة الاجتماعية

لا شك أن للموت أثر جوهري وواضح في تقوية العلاقات الاجتماعية بين الناس، فعندما توفى أبو محمد عبد الرحمن بن ابى نصر عثمان التميمي الدمشقى سنة420هـ/1029م المعروف بالشيخ العفيف، كانت جنازته من العظمة بحيث حضرها أهل البلد جميعهم بما في ذلك اليهود والنصارى[241]. ولما وقع بنيسابور جرف 416هـ/1025م أخذ عثمان النيسابوري الخركوشي الواعظ يغسل الموتى ويواريهم، فغسل عشرة آلاف[242].

كما شاركت المرأة في عزاء المتوفى سواء كان ذكرا أم أنثى، فلم تقتصر هذه المجالس على الرجال وحدهم، بل تعداه إلى مشاركة النساء هذه الأشياء، فقد كان من العادات المعروفة في المآتم أن تقدم بعض السيدات المآدب لأسرة المتوفى، لمدة ثلاثة أيام أو سبعة أيام بعد دفن الميت حسب مكانته ومنزلته في المجتمع، ويسمى هذا واجب العزاء ، ويطلقون على هذه المآدب بالتركية " يوغ " التي" تعنى ذكرى الموتى"[243] . فنجد مثلا بعد وفاة الشيخ أبو البركات إسماعيل بن أحمد بن دوست النيسابوري سنة541هـ/1146م أقاموا له وليمة كانت تكلفتها ثلاثمائة دينار[244] ، وكثيرا ما شارك قصر الخلافة في هذا الواجب، نظرا لمكانة المتوفي، ومنزلة عائلته، ففي سنة 460هـ/1067م قامت قهرمانة الخليفة القائم بأمر الله بتقديم واجب العزاء من طعام وشراب إلى مآتم الشيخ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف ـ متولي الإشراف على بمارستان بغداد ـ وذلك عند وفاة ابنته زوجة أبى عبد الله بن جردة، من أكابر القضاة ببغداد[245].

بينما كان لبعض الجنائز آثار سيئة في وقوع الفتنة بين المسلمين وغيرهم، فعندما توفيت بنت أبى نوح الأهوازي ـ الطبيب زوجة أبى نصر بن اسرائيل ـ كاتب المناصح أبى الهيجاء، سنة403هـ/1012 أخرجت جنازتها نهارا ومعها النوائح والطبول والزمور والصلبان والشموع، فقام رجل من الهاشميين فأنكر ذلك ورجم الجنازة، فوثب أحد غلمان المناصح بالهاشمي فضربه على رأسه فشجه، فسال دمه وهرب النصارى بالجنازة إلى بيعة دار الروم، فتبعهم المسلمون، وصارت الفتنة بين العامة وغلمان المناصح[246] .

أثر الموت على الحياة الثقافية

الرثاء من أغراض الشعر التي أخذت حيزاً عند كل الشعراء، والرَّثاءَ الحَسَن ما كان منبعثاً مِن العاطفة الصادقة، واستطاع الرّاثي أن يُصوّر أحزانَه ويَتنفّس عمّا يُحسُ في الصَدر مِن آلامه، ويضع المَرثيَّ مكانه اللائق به، ويُشرِك الحُزن، ويُسيطِرُ على عواطفهم وأحاسيسهم.

وأبدع فى هذا الضرب من الرثاء والتعبير عن مشاعر الحزن والأسى الشاعر المشهور أبو الفتح البستى فى رثاء سبكتكين فى شعبان سنة 387هـ/997م[247] بقوله:

قلت إذ مات ناصر الدين والدولة حباه ربه بالكرامـــــــة

وتداعت جموعه بافتراق هكذا هكذا تكون القيامة[248]

ونظم الفرخي قصيدة فى رثاء السلطان محمود الغزنوي تعتبر من عيون الشعر الفارسي ترجمها البيروني إلى العربية بشعر فصيح فُقد، وهذه ترجمة حديثة لها:-

- لم تعد مدينة غزنة كعهدي لها من عام مضى، فمادها هذا العام
- أرى ربوعا حافلة بالنواح والعويل
- أرى شوارعها مليئة بالناس وأبواب الحوانيت مغلقة
- وأرى قصورها مهجورة من ذوي المهابة
- إن الملك محمود يتناثر فى جوف الثري كالمسك مهجورا، آه.....ويا للفجيعة
- أن أرى خلاء منه قصر محمود ذلك المنزل الحافل بالنقش والتهاويل
- قم أيها الملك، فكل قد سبق للعرض، ألفان من الفيلة، من وراء قصرك وحديقتك
- إنك على سفر طويل، أمام كهذا العالم، سفر لا حد له ولا ساحل[249].

كما نظم شاعر من شعراء نيسابور قصيدة في رثاء حسنك منها:

أقطعوا رأسه لأنه كان رأس الرؤوس وقد كان زينة الدهر وتاج الملك فإذا

كان قرمطيا أو يهوديا أو كافرا فقد كان صعوده من التخت إلى المشنقة عملا منكرا[250].

حقا فالأحمق كل الحمق من يتعلق بأسباب هذه الدنيا فهي تعطيه نعمة، ولكن سرعان ما تسلبها منه قسرا ويبقى في أسوأ حال.

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة إذا زال عن عين البصير غطاؤها

وكيف بقاء الناس فيها وإنما يُنال بأسباب الفناء بقاؤها[251].

وقد رثى الشيخ على بن الحسن الباخزرى (الكندرى) مخاطبا السلطان ألب ارسلان قائلا:

وعمك أدناه وأعلى محله وبوأه من ملكه كنفا رحبا

قضى على مولى منكما حق عبده فخوله الدنيا وخولته العقبى[252].

ولما مات أبو القاسم الصاحب بن عباد اسماعيل الطالقاني سنة385هـ/995م رثاه أبو سعيد الرستمي بقوله:

ابعد ابن عباد يهش إلى السرى أخو امل او يستماح جوادا

أبى الله الا أن يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد[253].

وعندما قتل نظام الملك سنة487هـ/1094م قد رثاه الشعراء ومدحوه، فقال فيه الحكيم الأنوري:

لقد رحل حامى العالم من ظلم الأفلاك

ورحل وحيد عصره وفريد زمانه.

ورحل منظم ومدبر العالم

ورحل برحيله السرور والصفاء على العالم[254].

وقد مدحه الطغرائي، والباخرزي، وابن الهبارية، وشبل الدولة، ولا نكاد نعرف من مراثيه غير قول (ختنه)شبل الدولة مقاتل:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤه نفيسة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف[255]

ومن الناس من فرح لموت الوزير، فرد عليهم سديد الملك المفضل بن عبد الرازق(العارض في أيام ملكشاه)[256].

قتل الوزير فكلم جذلان لا تشمتوا فوراءه الحدثان
الملك بعد أبى على لعبة يلهو بها النسوان والصبيان[257]

وأطلق السلطان سنجر سهمه ذات يوم فأخطأ، فأصابت رميته المعزى، فجرح جرحاً مميتاً، وقال المعزى بعد هذه الإصابة: المنة لله وحده فإنى بسهم الأمير
لم اقتل بغير ذنب كبير

وتوفى الشاعر المعزى متأثراً بجراحه سنة 542هـ/1147م [258].

ولم يقتصر الرثاء على الطبقة الحاكمة، بل امتد ليشمل طبقات المجتمع المختلفة وعلى رأسهم العلماء والنساء، ومنهم على سبيل المثال أبو زيد عبد الله بن عمر الدبوسي كان من كبار الفقهاء الحنفية توفى ببخارى سنة 430هـ1038م ورثاه بعض الأفاضل بقوله:

لو صور الكون عينا تستفيض دما يشق جيبٍ ولطم الوجه بالأيدي
لم تُوف من حقها ما كان يَلزَمُها من البُكاء على القاضي أبي زيد[259]

ومحمد بن يحي الفقيه الشافعي قتله الغز سنة548هـ/1153م وقد قال فيه ابن الأثير أنه لم يكن في زمانه مثله، وكانت رحلة الناس من أقصى الغرب والشرق إليه، فرثاه البيهقي بقوله:

يا سافكا دم عالم متبحر قد كان أقصى الممالك صيته
بالله قل لي ظلوم ولا تخف من كان يحي الدين كيف تميته[260]

كما رثى الشعراء العديد من النساء من أمثال مهملك خاتون- ابنة السلطان سنجر- وهى زوجة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، فنظم الشاعر عمعق أبياتا في رثائها، ومنها هذان البيتان:

في حين ينبت الورد في أرض البستان ذهبت تلك الوردة المتفتحة،

واختفت في التراب

وفي حين يأخذ الغصن من السحاب قطر الماء أصبح هذا البستان الجميل بلا ماء[261]

وكانت كتابة الأبيات الشعرية على شواهد القبور شيئا مألوفا، فعند وفاة الشيخ أبو سعيد سأله أصحابه ماذا يكتبون على قبره عند وفاته فأخبرهم أن يكتبوا هذه القطعة:

سألتك بل أوصيك إن مت فأكتبى على لوح قبري كان هذا ميتا

لعل شجيا عارفا سنن الهوى يمر على قبر الغريب مسلما[262]

كما ذكر الشيخ أبو سعيد هاتان القطعتان، وقد كتبتا على قبره في ثلاثة اسطر، كل بيتين منهما في سطر، والقطعتان هما:

يا عز أقسم بالذي أنا عبده وله الحجيج وما حوت عرفات

لا ابتغى بدلا سواك خليلة فثقي بقولي والكرام ثقات

ولو أن فوقى تربة ودعوتني لأجبت صوتك والعظام رفات

وإذا ذكرتك ما خلوت تقطعت كبدى عليك وزادت الحسرات[263]

كما كتب القاضي أبو بكر محمد بن الحسين الأرسابندى المروذى(ت512هـ/1118م) على قبره:

من كان معتبرا ففينا معتبر أو شامتا فالشامتون على الاثر[264]

وفضلا عن الأبيات الشعرية كان الكثير من الناس يكتبون شهادة أن لا إله إلا الله ومعها آية الكرسي أو سورة تبارك[265]. كما وجد اهتمام كبير بتجديد قبور مشاهير العلماء والتعريف بأصحابها، فأبو سعد السمعاني (ت562هـ/1166م) أثناء وجوده في قرية سنج إحدى قرى نيسابور أمر أهل تلك القرية بتجديد قبر الشيخ أبو داود سليمان بن معبد السنجي (ت257هـ/870م) وكتب اسمه وتاريخ وفاته على آجر، وأعطاه لأهل القرية ليضعوه على لوح قبره في صحراء محلة يقال لها " تزن "[266]

لا بدّ أن نذكر، ونحن بصدد الكلام على أثر الموت على الحياة الثقافية، أن موت العلماء وبالأحرى قتلهم يعد خسارة كبيرة للمجتمع، فقد قال صلى الله عليه وسلم :" إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا. وإن

الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".[267] ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أبو المكارم الاشرف بن محمد بن ابي شجاع ملك علماء الشرق والصين استشهد سنة 523هـ/1128م قتله أرسلان خان محمد بن سليمان بن داود ، وقبره ببلاد ما وراء النهر[268].والفقيه أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مازه البخاري المعروف بالحسام الشهيد حرص على الشهادة حتى ختم بها عمله، وكان مدة حياته في جهاد لا تنزع سرابيله ، تفقه على والده وسمع الحديث وبرع في المذهب إلى أن صار أوحد عصره وفريد دهره في علم النظر، وعاش في حرمة وافرة إلى أن رزقه الله الشهادة بعد وقعة قطوان سنة 536هـ /1141م ونُقل إلى بخارى بعد سنة عند والده[269]. والشيخ الطبيب اللغوى أبو على الحسن بن على بن محمد القطان المروزى البخاري قبض عليه الغز لما تغلبوا على مرو فيمن قبضوا فجعل يشتمهم وهم يحثون التراب في فمه حتى مات سنة 548هـ/1153م[270]. والفقيه أبو الفتح محمد بن عمر الشيرازي السرخسي الأعور قتل صبرا بمرو قتله الغز سنة548هـ/1153م[271] والإمام أبو القاسم ناصر الدين بن يوسف الشهيد الحسيني السمرقندي قتل صبرا بسمرقند سنة 549هـ او 556هـ / 1154م -1160م وكان يبسط لسانه في حق الأئمة والعلماء [272]. وأبو بكر عبد الله بن على الفرغاني الخطيب ولد سنة 551هـ /1156م ومات شهيدا ببخارى على يد التتار سنة 616هـ/1219م حين استولوا عليها[273].

والأمثلة والنماذج كثيرة، ولكننا نكتفى بما قال في هؤلاء الأعلام لعدم الاطالة، فحقا مَن الذي لَم يُفجّع يوماً بفقد أعزّائه، ومَن الذي لَم يندب على موت أقربائه، ولَم يتذكّر أيامهم وأعمالهم؟

وعن عمارة المقابر والأضرحة *فقد سبق وتحدثنا عن المقابر والأضرحة كأماكن للدفن، ولكن يبقى ان نتحدث عن عمارة تلك المقابر والأضرحة والسمات العامة لتطورها خلال فترة البحث. فيعد الضريح في حقيقته نموذجا لقدرة المسلمين الهائلة على تطويع الأشكال المستمدة من أقاليم عديدة مختلفة بحيث تلبى حاجات الإسلام[274] . وكانت الأضرحة تبنى على شكل قباب أو أبراج اسطوانية ذات سقف مخروطى[275]. وكانت الأضرحة البرجية على شكلين مختلفين[276]الأول: على شكل برج له قبة نصف دائرية مما أكسبه طابعا دينيا. وكان يدفن فيه رجال الدين وذوو السلطان، والثاني: برجي مغطى بقبة مخروطية، وكان يدفن فيه الحكام[277] . وتتميز هذه الأضرحة بجدرانها المزخرفة بقوالب الطوب. كما كان يلحق أحيانا بأضرحة الأولياء مساجد[278] . ونشأ هذا الطراز في خراسان وانتشر منها إلى بلاد ما وراء النهر وسائر أنحاء الشرق الإسلامي[279] .*

ويعد ضريح إسماعيل ابن أحمد الساماني (ت295هـ/907م) في مدينة بخارى أقدم ما وصل إلينا. وتخطيطه مربع الشكل، واستخدم في بنائه الآجر في ترتيب

زخرفى جميل، وتغطيه قبة قطاعها عقد نصف دائري[280].وإلى جانب هذا الطراز عرفت نفس الفترة تشييد نوع آخر من الأضرحة على شكل برج مثل ضريح جنبادى قابوس في إقليم جرجان شمالي غرب نيسابور سنة 397ــ 398هـ/1006-1007م وبدنه نجمي الشكل وتغطيه قبة مخروطية[281]. ومقبرة أرسلان جذيب(ت419هـ/1028م)حاكم طوس وهذه المقبرة مبنية بالطوب، ومساحتها 12.5×12.5متر مربع، وتغطيها قبة محمولة فوق عقود ركنية، وكلا الجدران والقبة تزدان بأشكال متعرجة ومتدرجة إلى جانب رسوم أخرى على الجدران، ويوجد في الجزء الأعلى من الجدران شريط عريض يبلغ ـ نصف متر ـ من الكتابة الكوفية مكتوبة باللون الأبيض على أرضية متعددة الألوان تنتشر فيها الأفرع النباتية، كذلك يوجد أسفل القبة شريط ثاني أضيق من الكتابة الكوفية، مصنوع من الطوب المنحوت. وتوجد إلى جانب المقبرة منارة أسطوانية مخروطية الشكل بارتفاع 22متر، سقط جزؤها العلوى[282].

وظل طراز الأضرحة على شكل برج معروفا في الدولة الغزنوية (351-582هـ/ 962-1186م)حيث وصلنا منه برجين أحدهما ينسب إلى السلطان محمود الغزنوي (ت421هـ/1030م) والأخر للسلطان مسعود الثالث (ت508هـ/ 1114م) [283].

أما ضريح السلطان محمود الغزنوي، فقد أقام ابنه السلطان مسعود ضريحا فخما له في الروضة التي تبعد نحو كيلومترين إلى الشرق من غزنة في حي يطلق عليه "بست زار"[284]. وتلك الروضة كان يطلق عليها حديقة النصر(باغ فيروزي) وكان السلطان محمود يحب هذه الروضة كثيرا، وقد أوقف عليها السلطان مسعود الأوقاف العديدة، كما أمر بعدم السماح لأحد بالتنزه في تلك الروضة[285]. ويقوم القبر في حجرة مغطاة بقبة من طين، ويوجد منشور مثلث يقوم على قاعدة مستطيلة من الرخام،نحتت عليه بخط الرقعة تعطى التاريخ الدقيق واليوم والساعة التي حدثت فيها وفاة السلطان محمود (توفى رحمة الله عليه ونور حفرته وبيض وجهه عشية يوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وأربعمائة) [286].وملحق بالقبر جامع عظيم احتفظ فيه ببعض آثار السلطان محمود، ومنها القضيب الذى حطم به أصنام الهند، وأبواب مدينة سومنات، وهذه الآثار ظلت باقية في افغانستان حتى سنة 1248هـ/1832م وبعده فُقد القضيب، ونقلت الأبواب الأثرية إلى الهند حينما غزا البريطانيون افغانستان سنة 1255هـ/1839م[287]. وبالقبر محراب به دائرتين مكتوب على الدائرة الأولى بالخط الكوفي " ربنا اتمم لنا نورنا وأغفر لنا بالنبي وآله"، والدائرة الثانية مكتوب عليها "غفرانك ربنا وإليك المصير" [288]. ومن النقوش التي كتبت في النص الجنائزي بضريح السلطان محمود الغزنوي، الألقاب التي لقب بها ومنها الأجل، نظام الدين[289]. وهذا النقش كتب بالخط الكوفي وهو "غفرانا من الله للأمير الأجل السيد نظام الدين أبى القاسم محمود ابن سبكتكين غفر له" [290].

وكذلك قبر السلطان مسعود الأول(ت432هـ/1040م) والذى بناه ابنه السلطان مودود بن مسعود على بعد ميل من الروضة التي تقع شمال غزنة، والقبر على شكل برج وبه صندوق كمثرى من المرمر الجلابى وعليه نقوش قرآنية، وقد أقاموا عليه قبة [291]. وقبر السلطان مسعود الثالث والذى أخذ من الخارج شكل نجمي، وتغطيه قبة مخروطية، وظل ذلك الطراز من الأضرحة هو المعروف في الدولة الغزنوية[292].

وضريح الهجويري، حيث كان القبر يتألف أول الأمر من الصفة وبعض المباني المحيطة بها، والتي قام ببنائها السلطان إبراهيم الغزنوي (451ـ492هـ/1059ـ1098م) وفى عهد السلطان أكبر أضيف إليه بعض الأبنية التي أصلحت او أعاد بنائها المهراجا، ولم تكن هناك قبة فوق قبر الهجويرى في البداية، وفى سنة 1278هـ/1861م بنى حاجى نور محمد سادو سياجا حول الضريح تتوسطه قبة تعلو القبر، وقام بإصلاحها من بعده مولوى فيروز الدين وزين الجدران بالرخام وطلى القبه باللون الاخضر[293]. وتوجد عند رأس القبر لوحة رخامية كبيرة تسد أحد أبواب المقام نقش عليها آيات من القرآن الكريم، واسم الهجويرى وألقابه وتاريخ وفاته وبيت من الشعر لـ (خواجه) معين الدين الـ (جشتى) يشير فيه إلى لقب داتا كنج بخش. ويبدو في اسفل اللوحة اسم الشخص الذى اقامها على نفقته، واسم الخطاط الذى نقشها. وتفتح البوابة المواجهة للقبر على حجرة صغيرة، وهى الحجرة التي اعتكف فيها خواجه معين الدين وامضى بها فترة الجلة، وعندما هم بالعودة، وقف أمام القبر، وقال البيت المنقوش على اللوحة. وهناك حجرة أخرى خارج الضريح، كان يقضى فيها الشيخ " فريد الدين كنج شكر" (ت 664هـ/1265م)مدة الجلة. كما توجد داخل الضريح حجرة تسمى القرآن بها نسخ عديدة من القرآن الكريم[294].

كما يعد ظهور المقبرة ذات القبة المزدوجة في العصر السلجوقى تجديدا على جانب كبير من الأهمية[295]. وقد اعتمد التطور الذى صادفته عمارة القباب خلال العصر السلجوقي على نتائج أعمال القره خانيين والغزنويين[296].

ومن أهم أضرحة السلاجقة في خراسان ضريح السلطان سنجر الذى اجتمعت فيه تقاليد العمارة الإيرانية الراقية مما يتعلق بإنشاء القباب الواسعة التى يمكن ان تقاوم هزات الزلازل[297] وقد بنيت هذه المقبرة أثناء حياة السلطان سنجر، وتسمى دار الآخرة[298] وهى عبارة عن برج متعدد الأضلاع تعلوه قبة[299] وتتزين هذه القبة من الداخل بحشوات ذات زخارف بديعة من التواريق والنقوش الكتابية الكوفية والنسخية، صيغت جميعها من قطع الفخار[300] ويتجمع في هذه القبة كل المستحدثات والتطويرات التي أوجدها السلاجقة في مجال عمارة القباب حتى عام552هـ/1157م، ومن ثم تحتل هذه المقبرة مكانة مرموقة بين أعظم روائع العالم المعمارية، فقد كان قطر القبة سبعة عشر مترا، وهى أضخم قبة بنيت في تلك

المنطقة. وكانت هذه القبة المصنوعة من الفيروز تشاهد من مسافة مسيرة يوم كامل[301] ، وكانت تغطى غرفة رئيسية مساحتها سبع وعشرين× سبع وعشرين مترا .أما الجدران فكانت ذات سمك كبير إذ بلغت حوالى ستة أمتار[302] . وبالتالي كان تطور المعمار لدى السلاجقة يتمثل في التناسب والشكل، وقد رآها ياقوت في عام616هـ/1219م حيث يذكر أنها قبة زرقاء تظهر من مسيرة يوم[303]. واحرق المغول هذه القبة ، ونبشوا قبر السلطان سنجر عند غزوهم خراسان[304] .

وضريح الشيخ أبى الفضل السرخسي في مدينة سرخس، وهو عبارة عن بناء مزدوج القبة، محاط بجدران سميكة من الطوب. ومن هذه الاضرحة بخراسان أيضا ضريح محمد بن زيد بمدينة مرو(ت506هـ/1112م)[305]. ومن أشهر المشاهد بخراسان مشهد على بن موسى الرضا في سناباد إحدى قرى نوقان طوس، والذى يوجد به أيضا قبر الخليفة العباسي هارون الرشيد[306]. وقد بنى على هذا المشهد حصن فيه دور وسوق، كما بنى به أيضا مسجد من أحسن مساجد خراسان[307] وقد تم تجديد هذا المشهد عام515هـ /1121م، بسبب ما لحق به من خراب عام 510هـ/1116م بسبب الفتنة التي حدثت به، وهى أن علويا خاصم فيه بعض فقهاء طوس، مما أثار فتنة كبيرة حضرها جميع أهل طوس، وأحاطوا بالمسجد، وخربوه وقتلوا من وجدوه فيه، وترك أهل المشهد الخطبة فيه أيام الجمعات، إلى أن بنى عليه عضد الدين فرامرز بن على سورا منيعا يحتمى به من فيه ممن يريد المشهد بسوء[308] وقد وصف ابن بطوطة[309] في رحلته إلى المشرق هذا المشهد كما رآه حيث يقول:" والمشهد المكرم عليه قبة عظيمة في داخل زاوية وتجاورها مدرسة ومسجد، وجميعها مليح البناء، مصنوع الحيطان بالقيشاني، وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصفائح الفضة، وعليه قناديل فضة معلقة، وعتبة باب القبة فضة، وعلى بابها ستر حرير مذهب، وهى مبسوطة بأنواع البسط".

ومن المشاهد الأخرى المشهورة بخراسان مشهد آخر في طوس لابن عم على بن موسى الرضا يقع على مسافة فرسخ من مشهد على بن موسى الرضا[310]. وفى مدينة جام بين مشهد وهراة توجد تربة الشيخ شهاب الدين أبو نصر أحمد بن أبى الحسن النامقي الجامي (ت536هـ /1141م) والتي تعرف باسم" تربت شيخ جام" وتقع على رافد نهر هرى رود[311]. وقد أنشأت هذه التربة بعد وفاته. حيث أقيم على قبره مسجد ورباط، ثم تلى ذلك مجموعة من المنشآت، وأصبحت مركزا لمكان جديد لا يزال قائما حتى الآن وهو" تربت شيخ جام". وفى ميمنة يوجد ضريح الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير الميهني، الذي بناه الشيخ في حياته، وأطلق عليه "مشهد" [312].

ومن أقدم الأضرحة في سمرقند ضريح قثم بن العباس بن عبد المطلب بن عم النبي[313] واستغرق بناء هذا المجمع المعماري فترة امتدت تسعة قرون (5-13هـ :11-19م) ويحتوى الجزء المصان الظاهر فوق الأرض وحده على عشرين مبنى من عصور مختلفة، تصور بصدق مجمل مدرسة ما وراء النهر المعمارية

وتطورها[314]

ومن أضرحة العصر الخوارزمي بخراسان ضريح فخر الدين راضي(ت605 هـ/1208م) في هراة، وهو مبنى من الطوب، وبدنه مكون من اثنا عشر ضلعا تقوم على قاعدة مربعة، وتنتهى بقبة هرمية، وكل جانب من جوانب الواجهة مقسم إلى ثلاث حنيات مدببة، تدور حولها حليات نباتية مربعة، وحول هذا كله شريط كتابي ، وتغطى الحنيات حشوات من الفخار عليها تعبيرات زخرفية نباتية، وتحلى السقف الهرمى اشكال مسننات ومعينات من الطوب ذي اللون الفيروزي البراق[315] . كما كانت بخراسان أيضا بعض المقابر المبنية من الطوب، التي تشبه في شكلها الخيام التركية مثل مقبرة" ميل رادكان" بشرقي رادكان بخراسان. ويوجد ضريح بهذا الشكل ايضا في مدينة كشمار التي تقع بخراسان[316] .

ولم تقتصر النهضة المعمارية على الأضرحة فقط، بل امتدت لتشمل المدارس، وقد اسلفنا نماذج لتلك المدارس .

وحري بنا أن لا ننسى أهم أثر للموت وهى العظة والعبرة، ويجسدها ذلك المثال عندما مات الشيخ أبو الفتوح محمد ابن الفضل الاسفراييني الواعظ سنة538هـ/1143م وكان بينه وبين على الغزنوي تحاسد، ومع ذلك حضر الغزنوي عزاءه ببغداد وبكى وأكثر، فقال بعض أصحاب أبى الفتوح للغزنوي كلاما وأغلظ له فيه، فلما قام الغزنوي لامه بعض تلامذته على حضور العزاء وكثرة البكاء، فقال كنتُ أبكي على نفسي، كان يقال فلان وفلان، فمن يعدم النظير أيقن بالرحيل[317] وأنشد هذه الابيات :

ذهب المُبردُ وانقضت أيامُهُ ... وسينقضي بعد المبرد ثعلبُ
بيت من الآداب أصبح نصفُهُ ... خربا وباق نصفُهُ فسيخربُ
فتزودوا من ثعلبٍ فبمثل ما ... شرِب المُبردُ عن قليلٍ يشربُ
أوصيكمُ أن تكتبوا أنفاسهُ ... إن كانت الأنفاسُ مما يُكتبُ[318]

ويجسد لنا حسن الخاتمة الإمام أبو بكر بن مسعود علاء الدين الكاساني من أئمة فقهاء الحنفية، قال ابن النديم سمعت ضياء الدين محمد بن حبشت الحنفي يقول: حضرت الكاساني عند موته، فشرع في قراءة سورة إبراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى" يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفى الآخرة" خرجت روحه عند فراغه من قوله " وفى الآخرة " وكانت وفاته يوم الأحد بعد الظهر سنة587هـ /1191م ودفن عند زوجته فاطمة داخل مقام إبراهيم الخليل بظاهر حلب[319].

الخاتمة

خُلق الإنسان مقدرا له الموت بعد حياة محددة عند الله سبحانه وتعالى، ومن ثم ليس للموت أسباب، لكن تعددت حالات الموت ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية وصحية وغيرها .

ولما كان الموت حتمي فلا بد من الإشارة إلى الوصية، لما لها من أهمية بالغة، فقد علمنا " صلى الله عليه وسلم " أن الوصية كفارة لما ترك المسلم من زكاته في حياته، وأن المحروم من حرم الوصية، غير أن المنايا قد تسبق الوصايا. لذلك حرصت معظم مجتمعات المشرق الإسلامي على الوصية، وقد تنوعت حسب الظروف والمواقف التي مرت بهم خلال فترة البحث.

هذا وتشغل طقوس الدفن جانباً مهماً في المشرق الإسلامي، وبوجه عام لم تختلف عما هو معروف، فكان المتوفى يغسل ويكفن، ثم يُحمل للصلاة عليه في المساجد، ويدفن بعد ذلك. ثم يعقد العزاء. وكانت الدول تولى هذه التعازي أهمية خاصة، باعتبارها مدخلا إلى علاقات جديدة، حيث كان أكابر القوم يتبادلون رسائل تعازي عن فقد أحدهم أحد أقاربه.

وبالنسبة لمراسم المآتم الخاصة بالشيعة لا تختلف كثيرا عن السنة، إلا أنهم قد رجوا من ذكر مصاب الحسين والنوح عليه فوائد لهم .

و يجدر بنا ونحن نتحدث في هذا الصدد عن الموت، أن نركز على أثر الموت على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، باعتباره عنصر مرتبط ارتباطًا مهمًا بالتطور الحضاري. وعن أثر الموت على الحياة السياسية، فحاولنا أن نركز على تنفيذ الوصية الخاصة بولاية العهد، وما ترتب عليها من صراعات سياسية، باعتبارها ركيزة مرتبطة بالتغييرات الجوهرية سواء في علاقات الدولة الداخلية أو الخارجية. كما يمكن تلمس ما لحادثة الموت من أثار مهمة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، فقد ساعدت على تطور بعض المهن المصاحبة للموت، وكان لها انعكاسها بشكل أو بآخر على الحياة الاقتصادية. فضلا عن أثرها الجوهري الواضح في تقوية العلاقات الاجتماعية بين طبقات المجتمع المختلفة. أما أثر الموت على الحياة الثقافية فيتضح في ازدهار الشعر ولا سيما الرثاء، الذى لم يقتصر على الطبقة الحاكمة، بل امتد ليشمل طبقات المجتمع المختلفة، وعلى رأسهم العلماء والنساء، كما كانت كتابة الأبيات الشعرية على شواهد القبور شيئا مألوفا، فضلا عن ذلك كان الكثير من الناس يكتبون شهادة أن لا إله إلا الله ومعها آية الكرسي أو سورة تبارك. كما وجد اهتمام كبير بالنهضة المعمارية التي لم تقتصر على المقابر فقط ، بل امتدت لتشمل المدارس .

فجميع المعطيات التي تم التوصّل إليها، تقود بطبيعة الحال، إلى جملة مسائل أخلاقية واجتماعية، وهي أن الحفاظ على النفس الإنسانية يعد من أولى المقاصد الشرعية التي اهتمت بها الشريعة الإسلامية، وأولتها عنايتها الفائقة، حتى

أنها أوجبت الخلود في النار لقاتل النفس الإنسانية، كما تدل على قوله سبحانه وتعالى :"من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنة وأعد له عذابا عظيما"، وذلك لأن الإضرار بالغير دون مبرر مقبول يرتضيه الشرع، ويقبله العقل السليم يعتبره المشرع الإسلامي والوضعي - على السواء - تجنيًا وتجاوزًا على حق الغير، ومن هنا اعتُبر أن للحق صفة اجتماعية وليست فردية، فحسب تراعى فيه مصلحة الأفراد والجماعات بما يضمن تسيير الحياة

وفي الختام عش ما شئت فإنك ميِّت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، الموت يأتي فجأة والقبر صندوق العمل، ولا نكتفي أن نؤمن بالموت، بل أن نستعد له بالتوبة النصوح، والعمل الصالح، والبذل والتضحية، والإقبال على الطاعات، لقوله تعالى: [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] (الكهف:110)

الهوامش

[1] آل عمران: 145

2 الموت لغة : هو ضد الحياة وهو الانقضاء أو الانتهاء، أما اصطلاحا : فهو انفصال النفس عن الجسد. إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، جـ2، استانبول، 1989م، ص890،891. الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير،جـ4،ط3، دار الفكر، ص295. وقد ورد لفظ الموت في القرآن الكريم مئة وخمساً وستين مرة، موت البشر وموت الأرض. ثلثاها في صيغ اسمية والثلث في صيغ فعلية. العظام النخرة تعود وتبعث من جديد، (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) المؤمنون:35، (فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ)البقرة:259 . الدورة الحياة فالموت فالحياة، (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). البقرة:28. الحياة بعد الموت في البعث والنشور كما دعا المسيح، (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً)مريم:33، وكذلك (فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) البقرة:243. والله يحيي الأرض بعد موتها بإنزال الماء عليها، (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) النحل:65.

3 الملك: 22

4 الإسراء : 85

5 يونس:49

6 البيهقى: تاريخ البيهقى، ترجمة يحيى الخشاب ، وصادق نشأت، دار النهضة العربية ، بيروت، 1982م ،ص198- 200

7 البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، ط3 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت،1980م ، ص179،180.

8 البيهقي: تاريخ البيهقى ،ص618.

9 الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح محمد اقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1984م ص25.

10ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت،1979م ،جـ10،ص11؛ البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق ، ص29؛ الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ، ص25.

11 الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ، ص25.

12 البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق ،ص31 .

13 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ10،ص10، 11؛ براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ،1954م ،ص218،219.

14 حدث ان ثار شمس الملك حاكم ما وراء النهر على زوجته وهى - ابنة السلطان ألب ارسلان - ورفسها برجله غير مرة حتى اجهز عليها، وهو يقول لست امرأتى بل جاسوسة عندى ، وما ان سمع السلطان بقتل ابنته حتى أخذته النخوة، فحشد الجنود وعبر النهر. ابن العبرى: تاريخ الزمان، ترجمة الأب إسحاق أرملة ، دار المشرق، بيروت ، 1986م ص113.

15 الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ،ص53، 54؛ عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة،1990م،ص248.

16 البنداری: تاریخ دولـة آل سلجوق ، ص48؛ الحسینی: أخبـار الدولـة السلجوقیة ، ص53، 54؛ ابن العدیم: بغیة الطلب في تاریخ حلب، 1988م، جـ4،ص1983.
17 ابـن الاثیـر: الکامـل فـي التـاریخ ،جـ10،ص73؛ البنـداری: تـاریخ دولـة آل سـلجوق ، ص47؛ براون: تاریخ الأدب فی إیران من الفردوسی إلی السعدی ،ص223.
18 براون: تاریخ الأدب فی إیران من الفردوسی إلی السعدی ،ص224.
19 الحسینی: أخبار الدولـة السلجوقیة ، ص54؛ الراوندی: راحـة الصـدور وآیـة السرور ، ترجمـة إبراهیم أمین الشواربی وعبد النعیم حسنین ، وفؤاد عبد المعطـی الصیاد ، القاهرة ، 1960م، ص194.
20 البنداری: تاریخ دولة آل سلجوق ، ص49.
21 ابـن الاثیـر: الکامـل فـي التـاریخ ،جـ8، ص478، 479؛ البنـداری: تـاریخ دولـة آل سـلجوق ،ص65؛ الجوینی: تـاریخ جهانکشـای، ترجمـة محمـد التنونجی، دمشق ، 1985م ، ص197؛ الراوندی: راحـة الصـدور وآیـة السرور ، ص206.
22 البنداری: تاریخ دولة آل سلجوق ،ص64؛ عباس اقبال: الوزارة فی عهد السلاجقة، ترجمة احمد کمال الدین حلمی، الکویت، 1984م ص144.
23 المقدسی الشافعی: الروضتین في اخبار الدولتین، دار الجیل، بیروت، جـ1، ص26.
24 ابـن الاثیـر: الکامـل فـي التـاریخ ،جـ8، ص482؛ البنـداری: تـاریخ دولـة آل سـلجوق ،ص65؛ الحسینی: أخبار الدولة السلجوقیة ، ص71.عباس اقبال : الوزارة، ص76، 77.
25 ابن الأثیر: الکامل في التاریخ ،جـ8، ص482؛ النویری: نهایة الأرب، تحقیق سعید عبد الفتـاح عاشور، الهیئة المصریة للکتاب ، 1985م ،جـ27،ص52،53.
26 ابن الاثیر: الکامل في التاریخ ،جـ11، ص263؛ البنداری: تاریخ دولة آل سلجوق ،ص181.
27 ابـن الاثیـر: الکامـل فـي التـاریخ ،جـ8، ص485؛ دهخـدا: لغـت نامـه، مراجعـة محمـد معین ، طهران، 1331هـ، جـ14،ص91، 92.
28 حمد الله مستوفی القزوینی: تاریخ کزیده، ترجمة محمود مرسی قشطة ، رسالة ماجستیر بـآداب عین شمس،1968م، ص152؛ الحسینی : أخبار الدولة السلجوقیة ، ص189،190.
29 الراوندي: راحـة الصـدور وآیـة السرور ،ص 506؛ حمد الله مستوفی القزوینـی: تـاریخ کزیـده، ص153،154.
30 الراوندي: راحة الصدور وآیة السرور ،ص 528.
31 عباس اقبال: تاریخ ایران بعد الإسلام، ص283.
32 براون: تاریخ الأدب فی إیران من الفردوسی إلی السعدی ، ص385؛ عباس اقبال: تاریخ ایران بعد الإسلام ، ص286، 287 .
33 فـؤاد عبـد المعطـی الصـیاد: المغـول فـي التـاریخ ،دار النهضـة العربیـة، بیـروت، 1970، جـ1،ص62.
34 الذهبی: دول الإسلام ، تحقیق فهیم شلتوت، قطر، جـ2 ،ص10؛ الیافعی: مرآة الجنـان وعبرة الیقظان،ط2، بیروت،1970م، جـ3 ،ص132.
35 الدمشقی: طبقات علماء الحدیث، تحقیق أکرم البوشی و إبراهیم الزبیق ، ط2، بیروت ، 1996م ، جـ3،ص402؛ الصـفدی: الـوافی بالوفیـات ،بیـروت، جـ1ص، 143؛ ابـن کثیـر: البدایـة والنهایة، بیروت،1983، جـ12،ص134.
36 منیرة ناجی سالم: السمعانی، مجلة المورد، مج5، العدد4، 1976م، ص33؛ السمعاني: التحبیر فی المعجم الکبیر، تحقیق منیرة ناجی سالم، بغداد،1975م، ص124

37 ابن الجوزى: المنتظم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت،جـ10، ص177.

38 التميمى: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ،هجر للطباعة، القاهرة، دار الرفاعى، السعودية ،1989م، جـ1،ص471؛ القرشى: الجواهر المضية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ،ط2، هجر للطباعة، القاهرة ، 1993م، جـ1 ،ص226؛ اللكنوى: الفوائد البهية فى تراجم الحنفية، تعليق السيد محمد بدر الدين أبو الفوارس النعسانى، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1906م،ص29

39 وقد حظيت الشاعرة رابعة بنت كلب القزداري باهتمام محمود الغزنوي وكان شعرها متعدد الأغراض متنوع الأنماط. أحمد معوض :شاعر الصوفية فريد الدين العطار،ص151؛ براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، ص134.

40 البيهقى: تاريخ البيهقى ، ص586.

41 البيهقي: تاريخ البيهقى ،ص586،587.

42 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، مج2،جـ3، ص78،79.

43 البيهقى: تاريخ البيهقى ، ص372.

44 البيهقى: تاريخ البيهقى ، ص384.

45 البيهقى: تاريخ البيهقى ، ص387.

46 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ10،ص380

47 ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر بيروت، 1980م، جـ3 ، ص214.

48 البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد على ،مطبعة الترقى، دمشق، 1946م.ص128، 129.

49 ابن الاثير: الكامل في التاريخ،جـ11،ص160.

50 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ11،ص209

51 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ11،ص222.

52 الأوبئة: مفردها الوباء هو كل مرض عام وهو مرض الكثيرين من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات ويكون مخالفًا للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها ويكون مرضهم نوعًا واحدًا بخلاف سائر الأوقات فإن أمراضهم فيها مختلفة. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، ضبط وتحقيق رضوان جامع رضوان، جـ 14 ،2001، ص 217.

53 ابن الجوزي: المنتظم ،جـ16، ص17؛ الذهبي: العبر فى خبر من غبر ، تحقيق أبو المهاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت،(د. ت) ، جـ2،ص293؛ حسين الديار البكري: تاريخ الخميس فى أحوال انفس نفيس ،مؤسسة شعبان، بيروت ، (د.ت)،ص358.

54 حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة، 1997م ،جـ4 ،ص180..

55 النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق يوسف الهادى، تهران،1999م، ص555.

56 النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص402.

57 النسفى: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص382.

58 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16، ص240.

59 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ص 150،151

60 البغدادى: تاريخ بغداد ،دار الكتب العلمية، بيروت، جـ11، ص342.
61 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ9،ص131؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ12،ص177.
62 ياقوت الحموى: معجم الادباء ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، جـ5 ،ص53،54.
63 الذهبى: تاريخ الإسلام، جـ35، ص432؛ السمعانى: الأنساب ،تعليق عبد الله عمر البارودى ،دار الجنان ، بيروت ،1988م ، جـ3،ص147.
64 الصفدى: الوافى بالوفيات ، بيروت، جـ4، ص243.
65 النسفى: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص407.
66 اللكنوى: الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ،ص201؛ القرشى: الجواهر المضية ، جـ3، ص367.
67 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،ص142.
68 البيهقى: تاريخ البيهقى، ص427.
69 ابـن الجـوزى: المنـتظم ، جــ9، ص172، 173؛ الـذهبي: تـاريخ الإسـلام ،جــ35،ص147؛ السمعاني: الأنساب، جـ4، ص526
70 السيوطى: بغية الوعاه في طبقات اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت،(د. ت) ،جـ2، ص279؛ ياقوت الحموي: معجم الادباء ،جـ19، ص126
71 الاسـنوى: طبقـات الشـافعية ، دار الكتـب العلميـة، بغـداد ، 1987م،جــ1،ص211؛ السـمعاني: الأنساب،جـ2، ص343.
72 السيوطي: بغية الوعاه في طبقات اللغويين ، جـ1، ص112،111.
73 البقرة:180.
74 النساء:11
75 البيهقـى: تـاريخ البيهقـى،ص12ــ 15؛ محمـود شـاكر: التـاريخ الاسـلامي ،الدولـة العباسـية ،بيروت،ط5، 1991م، جـ2، ص193.
76 ابن الجوزى: المنتظم، جـ16، ص302؛ خواندمير: دستور الوزراء،ترجمة حربي أمين سليمان، القاهرة، 1980م، ص245.
77 الراوندى: راحـة الصـدور، ص185؛ يحيـى الخشـاب: نظـام الملك والمـدارس النظاميـة، القـاهرة، ص552، 553.
78 ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ10، ص 76.
79 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ10،ص380.
80 مستوفى قزوينى: تاريخ كزيده، ص48.
81 ابن الاثير: الكامل في التاريخ،جـ11،ص222.
82 ابن أبى اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الاطباء، تعليق نزار رضا، بيروت، د.ت، ص468.
83 البيهقى: تاريخ البيهقى، ص372.
84 رضـا زاده شـفق: تـاريخ الأدب الفارسـى ، ترجمـة محمـد مرسـى هنـداوى ، دار الفكـر العربى،1947م،ص89.
85 ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، جـ2، ص438.
86 ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ10، ص76.
87 ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ترجمة أحمد أبو المجد هلال ، 1997م ، ص353.
88 ابن كثير: البداية والنهاية، جـ12،ص159.
89 ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ،تحقيق مصطفى جواد ، دمشق ، 1962م ، مج2، ص12.

90 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16، ص99.
91 الصريفينى: تاريخ نيسابور، المنتخب من السياق، للحافظ أبي الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي ، اعداد محمد كاظم المحمودى، قم ، 1982، ص79.
92 السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجى وعبد الفتاح محمد الحلو ،القاهرة ،1964م، جـ7 ، ص168.
93 ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد ،تصحيح قيصر فرح، بيروت، جـ1،ص100- 101.
94 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ18، ص86؛ السمعانى: الأنساب،جـ3،ص391
95 السمعانى: المنتظم ، جـ 1 ،ص113،112.
96 البيهقى: تاريخ البيهقى،ص586،587.
97 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16،ص134.
98 الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ،جـ3،ص121؛ ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16،ص97؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى وآخرون ، ط11 مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1996م، جـ21، ص414؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، جـ1 ، ص76.
99 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مج2،جـ3،ص56،57.
100 ابن العماد الحنبلى: المصدر نفسه ، مج2،جـ3، ،ص209،210 ؛ الهجويري: كشف المحجوب ، تحقيق إبراهيم الدسوقى شتا، القاهرة،1976م، جـ2 ، ص449.
101 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16، ص97.
102 النسفى: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص694
103 القرشى: الجواهر المضية ، ص594؛ طاش كبرى زاده: طبقات الفقهاء، تعليق أحمد نيلة، ط2، الموصل،1961م ص85؛ النسفى: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص554.
104 النسفى: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص704.
105 النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص110.
106 النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص116.
107 ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ،بيروت،(د. ت)، جـ1،ص67.
108 الذهبى:العبر،جـ3،ص17.
109 ابن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد، ترجمة إسعاد عبد الهادى قنديل، الدار المصرية للتأليف والترجمة،(د.ت) ، ص420.
110 الهجويري: كشف المحجوب ، ص157.
111 السمعانى:الأنساب،جـ2،ص130.
112 شهاب الدين المقدسي: الروضتين في اخبار الدولتين:جـ1، بيروت،(د.ت)،ص149؛ منيره: السمعاني وكتابه التحبير،ص33.
113 الاسنوى: طبقات الشافعية،جـ1، ص208؛ ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار فى ممالك الأمصار، تحقيق محمد عجاج الخطيب وآخرون، الإمارات، 2004م، جـ6، ص102.
114 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ18،ص53-54.
115 ابن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد ، ص200.
116ابن فندق: تاريخ بيهق، تصحيح أحمد بهمينار، طهران، 1317،ص208.

117 وقد قال "صلى الله عليه وسلم " النائحة ومن حولها في النار. ابن الاخوة: معالم القربة في احكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق احمد عيسى المطيعي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،1976م،ص106؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء،جـ18،ص143.
118 ابن الجوزى: المنتظم ، جـ7،ص289.
119 نظامى عروضى السمرقندى: جهار مقاله (المقالات الأربع)، ترجمة عبد الوهاب عزام ، يحيى الخشاب ، القاهرة ، 1949م،ص87.
120 البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق ،ص27.
121 ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة ، تعليق طلال حرب، ط2، 1992م، ص196-197.
122 القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ،دار صادر، بيروت ،(د.ت) ،ص403.
123 السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ،جـ4، ص290.
124 ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ،المطبعة الوهبية، 1868م ، جـ1، ص359
125 ابن الحاج: المدخل الى الشرع الشريف ، دار الفكر، جـ3، ص323؛ البخاري: صحيح البخاري، القاهرة المجلس الاعلى للشئون الإسلامية،ط3، 1996م، جـ2، ص 375.
126 الجنازة بمعنى الميت على السرير، فإذا لم يكن عليه الميت فهو سرير ونعش. وقيل سميت جنازة لأن الثياب تجمع والرجل على السرير وجنزوا أى جمعوا. وجنازة الميت تتم بعد أن يجهز من حيث غسله وتكفينه والصلاة عليه، تبدأ جنازته في طريقها الى المقابر لدفن جثمانه، وكان هذا الجثمان يحمل في نعش مصنوعا من خشب. ابن سيده المرسي: المخصص ،القاهرة،1900م،جـ6،ص132؛ ابن مفتاح: شرح الأزهار ، القاهرة،1938م،جـ1،ص399.
127 السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ،جـ4، ص290.
اتفق الفقهاء على أنه إذا مات الميت شُد لحياه، وغمضت عيناه، حيث علمنا النبي ρ أن الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ، ويتولى أرفق أهله به إغماضه، بأسهل ما يقدر عليه، ويشد لحياه بعصابة عريضة يشدها في لحيه الأسفل ويربطها فوق رأسه. ويقول مغمضه: بسم الله وعلى ملة رسول الله. اللهم يسر عليه أمره، وسهل عليه ما بعده. وأسعده بلقائك، واجعل ما خرج إليه خيراً مما خرج منه. ويلين مفاصله، ويرد ذراعيه إلى عضديه، ويرد أصابع كفيه، ثم يمدها، ويرد فخذيه إلى بطنه، وساقيه إلى فخذيه، ثم يمدها، وهو أيضاً مما اتفق عليه. ويستحب أن ينزع عنه ثيابه التي مات فيها، ويسجى جميع بدنه بثوب. وعن تكفين الميت فهو فرض كفاية على من حضره من المسلمين وفرضيته ثابتة بالسنة وإجماع الأمة ، ويكون التكفين بعد الغسل مباشرة ويُكفنه اقرب الناس إليه وأحفظهم لسره، والحكمة فى تكفين الميت ستره عن الأعين وتكريمه ميتا مثلما يكون ستره وتكريمه حيا. ابن الحاج: المدخل الى الشرع الشريف، جـ3، ص241-246؛ محمد بكر اسماعيل: الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الاربعة، ط2، دار المنار،1997م، جـ1،ص386.
128 السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ،جـ3، ص227.
129 ابن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد ،ص369.
130 السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ،جـ4، ص290.
131 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،مج2،جـ3،ص261،262
132 ابن الجوزى: المنتظم ، جـ16،ص230.
133 ابن كثير: البداية والنهاية ،جـ13، ص102،103..
134 البيهقى: تاريخ البيهقى، ص372،373.

135 البيهقى: تاريخ البيهقى ،ص201
136 البيهقى: تاريخ البيهقى ،ص28،29م.
137 النسفى: تاريخ البيهقى ، ص432.
138ابن الأثير: الكامل في التاريخ،جـ9، ص401
139 السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ، جـ 5، ص101؛ محمد محمود إدريس: رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، دار الثقافة ، 1983م ، ص160.
140 ابن الجوزى: المنتظم،جـ15،ص113.
141 ابن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد ،ص389، 412.
142 ابـن النجـار: ذيـل تـاريخ بغداد،جـ1،ص94؛ السـبكى: طبقـات الشـافعية الكبـرى ،جـ5،ص181ـ184؛ الـذهبى : سـير أعـلام النبلاء،جـ18،ص476؛ ابـن خلكـان: وفيـات الأعيان،جـ3،ص169-170.
143 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16،ص149.
144 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16، ص99.
145 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،مج2،جـ3،ص406.
146 البيهقى: تاريخ حكماء الإسلام،ص132-133.
147 الذهبى: سير أعلام النبلاء،جـ23،ص.368.
148 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مج2،جـ3، ص113- 115
149 ابـن تغـرى بـردى: النجـوم الزاهـرة ، نسـخة مصـورة عـن طبعـة دار الكتـب ،1963م،جـ4،ص200؛ ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مج2،جـ3، ص124.
150 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مج2،جـ3، ص185،186.
151 البيهقى: تاريخ البيهقى،ص213،214.
152 البيهقى: تاريخ البيهقى ، ص19م.
153 يقول الشافعي" ولا بأس أن يلبس الحاد كل ثوب وان جاء من البياض لأن البياض ليس بمزية " وفى بعض الاحاديث "ألبسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم" وليس في الإسلام لبس ملابس وألوان محددة للحداد، وإنما يعدُّ ذلك من العادات والتقاليد، ولا مانع منه طالما أنه لا يكون مصبوغا أو مزينا أو للتجميل. صالح احمد العلي: الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية الاولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، 1976م، مج27، ص 62- 65
154 البيهقى: تاريخ البيهقى، ص19م.
155 البيهقى: تاريخ البيهقى ، ص317-318
156 ابـن الجـوزى: المنتظم،جـ16،ص197؛ الجـوينى: تـاريخ جهانكشـاى، جـ1، ص266؛ ابـن خلكان: وفيات الأعيان ،جـ4، ص204.
157 البيهقى: تاريخ البيهقى، ص361.
158 البيهقى: تاريخ البيهقى ،ص617،618
159 البيهقى: تاريخ البيهقى ، ص508
160 البيهقى: تاريخ البيهقى ، ص508
161 البيهقى: تاريخ البيهقى ،ص660.
162 ابن الجوزى: المنتظم ، جـ8،ص136.
163 ابن الجوزى: المنتظم ، جـ16،ص145.

164 ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ10،ص 74.
165 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، جـ10، ص 108.
166 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، جـ10، ص 123.
167 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، جـ10، ص 176؛ ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16، ص281.
168 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ10،ص384.
169 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ10،ص548،549.
170 ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ10، ص593.
171 حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، بغداد،1982م ،جـ2ص915؛ منيرة ناجى سالم: السمعانى، مجلة المورد، مج5، العدد4، 1976م ، ص51
172 ابن الأثير: الكامل،جـ10،ص266-267.
173 ابن الجوزى: المنتظم، جـ10،ص100.
174 ابن الجوزى: المنتظم ، جـ10،ص100.
175 ابن الجوزى: المنتظم، جـ8،ص277.
176 ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، جـ5،ص110.
177 ابن الجوزى: المنتظم ، جـ8،ص330.
178 ابن الجوزى: المنتظم، جـ16، ص217.
179 ابن الجوزى: المنتظم، جـ16، ص217.
180 ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ10، ص169.
181 ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جـ10، ص354؛ ابن الجوزى: المنتظم، جـ9،ص137.
182 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مج2،جـ3،ص130.
183 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مج2،جـ3، ص79.
184 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مج2،جـ3، ص113- 115
185 الحصري: زهرة الآداب، جـ3،ص109.
186 الحصري: زهرة الآداب ، جـ3،ص109.
187 البيهقى: تاريخ البيهقى،ص17.
188 ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، جـ8، ص205
189 الخوارزمي: رسائل الخوارزمي، بيروت، 1970، ص15.
190 سعيد عاشور: المرأة والمؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية، دار المعارف، ص33.
191 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ16، ص229.
192 الضريح: كلمة مشتقة من فعل ضرح ويقال ضرح القبر جعله ضريحا في شكله المعروف. طه الولي: المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1988م، ص126 . والضريح هو البناء الذى يقام على رفات ولى من أولياء الله الصالحين او اى انسان له مكانة تدعو الى تخليد ذكراه، ويسمى أحيانا قبة أو تربة. عبد السلام أحمد نظيف: دراسات فى العمارة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1989م ، ص34.
193 الاصطخرى: المسالك والممالك، دار القلم ،1961م، ص255؛ ابن الجوزى: المنتظم ،جـ18، ص53؛ السبكى: طبقات الشافعية الكبرى ،جـ5،ص181.
194 الصريفينى: تاريخ نيسابور، ص123؛ السمعانى: الأنساب،جـ2، ص373؛ نظامى السمرقندى: جهار مقاله ، ص70؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ،جـ4، ص272.
195 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ18،ص67.

196 السمعانى: الأنساب،جـ3، ص442.
197 ابن الدمياطى: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيصر أبو فرج دى .فل ، دار الكتب، بيروت، ص120؛ ابن الجوزى: المنتظم ،جـ17،ص337
198 ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ5،ص333؛ الصريفينى: تاريخ نيسابور، ،ص123
199 السمعانى: الأنساب،جـ5، ص44 .
200 السمعانى: الأنساب،جـ1، ص495، جـ 3،ص450.
201 السمعانى: الأنساب،جـ1، ص172.
202 كانت المقبرة في الاصل بستانا للشيخ الزاهد ابراهيم بن شماس المطوعي،وهو مدفون فيها. النسفى: القند في ذكر علماء، ص20.
203 السمعانى: الأنساب، جـ4، ص291
204 القارى: طبقات الحنفية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ص18؛ أبو الليث السمرقندى: خزانة الفقه، مج1،ص12.
205 النسفى: القند في ذكر علماء ، ص20،21.
206 القارى: طبقات الحنفية ، ص18،19؛ القرشى: الجواهر المضية ، جـ1، ص 6.
207 النسفى: القند في ذكر علماء ، ص431.
208 ابن بطوطة: تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة ، ص215.
209 زركوب الشيرازى: شيراز نامه ، ص66،67.
210 حمد الله مستوفى القزوينى: تاريخ كزيده، ص221،222؛ زركوب الشيرازي: شيراز نامه، ص71،72.
211 ابن خلكان: وفيات الأعيان ،جـ5،ص288؛ الذهبى: العبر،جـ2، ص350؛ الذهبى :سير أعلام النبلاء،جـ19،ص507.
212 السمعانى: الأنساب،جـ5،ص299.
213 ابن الاثير: الكامل،جـ10،ص266.
214 النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، تحقيق حافظ أحمد حمدى، دار الفكر العربى، القاهرة،1953م، ص311،312.
215 Bulliet, The patricians of Nishapur,A Study in Medieval Islamic Social History,Cambridge,Massachues,1973,p250,254
216 السمعانى:الأنساب،جـ3،ص506.
217 ابن فندق: تاريخ بيهق ،ص236.
218 طه الولى: المساجد في الإسلام ، ص84.
Behcet Unsal, Turkish Islamic Architecturl,p30. Ernst Grube, The World of Islam, p71.Nemtsseva, Istok Kompozitsii I Etapy Formirovaniya Ansamblya Shaki-Zinda the Origins and Architectural Development of the Shahi Zinda , Journal of Persian Studies, vol.10, 1977, p61
219 البيهقى: تاريخ البيهقى،ص12– 15؛ محمود شاكر: التاريخ الاسلامي ،الدولة العباسية ،بيروت،ط5، 1991م، جـ2، ص193.

220 أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت، 1980م، جـ1، ص180؛ عبد النعيم إيران والعراق فى العصر السلجوقى ، دار الكتاب المصرى .القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى . بيروت ، 1982م، ص54.
221 البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق ، ص30؛ ابن الجوزى: المنتظم ، جـ16،ص82.
222 البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق ، ص27؛ ابن الجوزى: المنتظم ، جـ16،ص82.
223 ابن الاثير: الكامل في التاريخ،جـ10،ص10؛ أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ1، ص181،180
224 الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ، ص16، 29 ؛الراوندى: راحة الصدور ، ص185.
225 البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق ،ص30-31؛ الراوندى: راحة الصدور ،ص185، 186.
226 البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق ،ص30-31؛ الراوندى: راحة الصدور ،ص169.
227 الراوندى: راحة الصدور ، ص187.
228 الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ، ص25؛ الراوندي: راحة الصدور ، ص187.
229 براون : تاريخ الادب،ص218.
230 ابن الاثير: الكامل في التاريخ،جـ10،ص119؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ،جـ4،ص64.
231 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ10،ص27؛ ابن الجوزى: المنتظم ، جـ8، ص284؛ الراوندى: راحة الصدور ، ص191.
232 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ8،ص452، 453.
233 الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ، ص 75؛ الراوندى: راحة الصدور ، ص15.
234 عبد النعيم حسنين: سلاجقة ايران،ص79.
235 عمر رضا كحالة: أعلام النساء فى عالمي العرب والإسلام ، جـ1، بيروت ، 1959م.ص201.
236 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ10، ص593.
237 الذهبى: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى وآخرون ، ط11 مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1996م، جـ18،ص143.
238 ابن الجوزى: المنتظم ، جـ7،ص289.
239 زركوب الشيرازى: شيراز نامه، ص67،66
240 ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان ، ص353.
241 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مج2،جـ3، ص215،216
242 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ15،ص172،173.
243 بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، القاهرة ، 1996م،ص117.
244 الذهبى: سير اعلام النبلاء،جـ20، ص161.
245 ابن الجوزى: المنتظم ، جـ8،ص251
246 ابن الجوزى: المنتظم ،جـ15،ص91.
247 استاد خليلي: سلطنت غزنويان، ص19.
248 حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ص94.
249 محمد عبد الحميد الحمد: حياة البيرونى ،ص47.
250 البيهقى: تاريخ البيهقى،ص198- 200
251 البيهقى: تاريخ البيهقى ،ص201،202.

252 ابن الاثير: الكامل في التاريخ،جـ8،ص365 ؛ الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ، ص25، 26.
253 ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مج2،جـ3، ص113- 115.
254 براون: تاريخ الادب، ص462-494؛ رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى ، ص89- 92.
255 ابن الاثير: الكامل في التاريخ،جـ8، ص479؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان ، جـ1، ص257 .
256 اقبال: الوزارة، ص105.
257 الباخزرى: الخريدة، جـ1، ص49، 50.
258 رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى ،ص90،91؛ براون: تاريخ الادب، ص414،415.
259 الغزى:الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعى للطباعة، السعودية، الرياض، هجر للطباعة القاهرة، 1989م، جـ4، ص177.
260 ظهير الدين البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام، ص5،6.
261 دولتشاه : تذكره الشعراء تصحيح وتمهيد محمد اقبال 1939 م، ص37 ؛ سعيد نفيسى : تاريخ نظم ونثر در ايران جلد أول ،1344 هـ ص96 ؛ هدايت : مجمع الفصحا ،جـ1 ، الهند ، 1271هـ، ص345 ؛ فخرى هروى: تذكرة روضة السلاطين، تبريز ، 1345 ،ص14.
262 ابن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد ، ص397.
263 ابن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد ، ص397.
264 ابن الجوزي: المنتظم ،جـ17،ص168.
265 ابن المنور: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد ، ص397.
266 السمعانى: الأنساب،جـ3،ص317.
267 مسلم: صحيح مسلم بشرح النووى، دار الكتب العلمية، بيروت، مج8،جـ16، ص221-224
268 النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند ، ص93.
269 الاسنوى: طبقات الشافعية، جـ1، ص208؛ ابن فضل الله العمرى: مسالك الابصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى عقلة،جـ6، ص102.
270 السيوطى: بغية الوعاه في طبقات اللغويين،جـ1،ص513؛ ابن فندق: لباب الأنساب والالقاب والاعقاب، جـ1،ص61.
271 السمعانى: الأنساب،جـ1،ص192.
272 اللكنوى: الفوائد البهية فى تراجم الحنفية، ص219.
273 ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق محمد عجاج الخطيب وآخرون ، الإمارات، 2004م، ص125،126؛ ابن المنذرى: التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف ،ط2، مؤسسة الرسالة، مج2،ص487،488.
274 جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث: تراث الإسلام،جـ1، ص352،353.
275 أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى ، دار المعارف ، مصر ، 1128هـ ، ص123
276 نعمت إسماعيل علام: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ص135.
277 إبراهيم إبراهيم عامر: العمارة في سمرقند في العهد التيمورى، ص134؛ طه الولى: المساجد في الإسلام ، ص126
278 نعمت إسماعيل علام: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، ص136.
279 اياد الصقر: الفنون الإسلامية، 195؛ توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة، جـ2، ص327؛ صادق نشأت ومصطفى حجازى: صفحات عن إيران، ص277
280 حسن الباشا: مدخل إلى علم الآثار الاسلامية ،1996م،ص593.

281 ابراهيم ابراهيم عامر: العمارة في سمرقند في العهد التيمورى، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي ،ص134.
282 أوقطاى أصلان : فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى ، 1987م ،ص23
283 ابراهيم ابراهيم عامر: العمارة في سمرقند في العهد التيمورى ،ص134.
284 أوقطاى أصلان : فنون الترك وعمائرهم ،ص23
285 البيهقى: تاريخ البيهقى، ص280،281.
286 دونالد ولبر: ايران ماضيها وحاضرها،ص54؛ استاد خليلى: سلطنت غزنويان، انجمن تاريخ أفغانستان،(د.ت)، ص360.
287 محمد حبيب احمد: بين الهند وباكستان ، ص45.
288 استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص360
289 يحيى الخشاب: الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والأثار، ص534،498،127.
290 استاد خليلى: سلطنت غزنويان، ص360
291 استاد خليلى: سلطنت غزنويان ، ص231.
292 البيهقى: تاريخ البيهقى،37- 39م ؛ طلال بن محمد الشعبان: الزخارف الجصية في سامرا، ندوة الآثار الاسلامية في شرق العالم الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة،1998م،ص134.
293 الهجويرى: كشف المحجوب ، ص88.
294 الهجويرى: كشف المحجوب ، ص90.
295 أوقطاى اصلان: فنون الترك وعمائرهم ، ص41.
296 أوقطاى اصلان: فنون الترك وعمائرهم ، ص38.
297 سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون فى دولة الإسلام ،ص415
298 الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية ،ص124؛ ابن الأثير: الكامل،جـ9،ص16.الذهبى:العبر،جـ3،ص17.
299 نعمت اسماعيل: نعمت إسماعيل علام: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط5،دار المعارف، القاهرة، 1992م، ،ص135-136.
300 ديماند: الفنون الاسلامية،ص97.
301 رينيه غروسيه : جنكيز خان ، ص308 .
302 أوقطاى أصلان : فنون الترك وعمائرهم ، ص32 ، 41
303 ياقوت الحموى: معجم الادباء ،جـ5، ص114.
304 Nicolle, The Mongol Warlords,Genghis Khan,Kublai Khan.Hulegu.Tamerl,Firebird books,1990,p24
305 أوقطاى أصلان: فنون الترك وعمائرهم، ص40-41.
306 ياقوت الحموى: معجم الادباء ،جـ3، ص259؛ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ،ص392.
Hamd allah Mustawfi Qazwini.The Geographical part " Nuzhat-Al-Qulub"translated by G.le Strange,London,1919,p149.
307 المقدسى: احسن التقاسيم، ط2، مطبعة بريل،1906م، ص166.
308 ابن الاثير: الكامل،جـ9،ص166.
309 ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ،ص388.
310 المقدسى: احسن التقاسيم،ص333.
311 دائرة المعارف الإسلامية،جـ9، مادة " تربت شيخ جام"،ص261.

312 دائرة المعارف الإسلامية، مادة" أحمد جام"، جـ2،ص318-319. ولا يجوز الدفن في المساجد، مطلقاً، بل هو من الكبائر؛ لأنه من فعل شرار الخلق، قال رسول الله صلي الله علية وسلم : [أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ] (صحيح البخاري، الحديث رقم 1255)، والصلاة في المساجد، التي فيها قبور لا تصح مطلقاً.

313 القالى البغدادى: ذيل الامالى والنوادر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996،جـ3،ص197؛القلقشندى: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت،1964،جـ1،ص113؛حسنى بن أحمد بن على العباسى: الأساس في أنساب بنى العباس،القاهرة،2000،ص151؛ياقوت الحموى: المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تحقيق ناجى حسن، الدار العربية، بيروت، 1987،ص29.

Die Baudenkmale, Von Samarkand Architektonischer Reisebericht ,1898, p39.
Edgar Knobloch, Turkestan, p152

314 آثار الإسلام التاريخية في الاتحاد السوفيتى، ص6.

315 أوقطاى أصلان: فنون الترك وعمائرهم ،ص46.

316 أوقطاى أصلان: فنون الترك وعمائرهم ،ص44-45.

317 ابن الاثير: الكامل في التاريخ،جـ11،ص96،97.

318 ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،جـ11،ص97.

319 الكاساني: بدائع الصنائع، تحقيق احمد مختار عثمان، مطبعة العاصمة، جـ1، القاهرة، ص78،79؛ ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، جـ6، ص19؛ اللكنوى: الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ، ص53.